النهج الفيصلي في معالجة القضايا الإسلامية

ناصر الدين الأسد



هذا الكتاب

ارتبط مفهوم التضامن الإسلامي ارتباطًا مباشرًا باسم الملك فيصل ـ يرحمه الله ـ، حتى لم يعد في الإمكان التطرق إلى هذا المفهوم من غير أن يُذكر الفيصل، وما بذله من جهود مخلصة في سبيل ترسيخ هذا المفهوم في التربة الإسلامية، ليكون واقعًا يعيشه العالم الإسلامي، على الرغم من الصعوبات والمعوقات التي واجهت مساعيه، وعوامل الإحباط المتعددة التي اعترضت جهوده.

وقد سَمَتْ نفسُ الفيصل وارتفعت فوق كل الأحقاد والضغائن، انطلاقًا من أن من يتصدى للأعمال العظيمة ينبغي أن يكون مستعدًا لتخطي الصعاب التي تعترضه، من دون أن يضعف عزمه أو تفتر هِمَّته، وإنما تكون دافعًا لمواصلة الجهد المضني، والمثابرة على العمل الدؤوب، والصبر على المكاره.

والمتتبع لنهج الفيصل في معالجة القضايا الإسلامية يستخلص خصائص ميزت هذا النهج، ويقف على عوامل ومكونات اتسم بها، تتصل بالمواهب الفطرية والملكات الفريدة التي خَصَّهُ الله ـ سبحانه ـ بها، وجعلته مؤثرًا في تشكيل بيئته وصياغتها أكثر من أن يكون مكتسبًا منها، إذ كانت هذه المواهب والملكات أدواته لاستيعاب ما في رحاب العالم الفسيح من أسباب الصراع أو عناصر التقارب، ولإدراك كل ما يضجّ في جنباته من تيارات واتجاهات متباينة، بعد أن تهيأت له الظروف لدخول معترك الحياة السياسية صبيًا. وقد نشأ وهو يرى والده الملك عبد العزيز ـ طيب الله ثراه ـ يدير شؤون دولته الفتية في ظل أمواج السياسة العاتية، التي يحتاج التعامل معها إلى حكمة وحنكة، فَتَشَرَّبَ منه أصول السياسة وأساليب الإدارة، وأدرك موقع مجتمعه في هذا الإطار الإنساني الشامل، فعمل على تهيئته ليكون أهلاً للعيش في قلب العصر، متبعًا نهج والده الملك الباني الذي ما تزال تسير عليه المملكة العربية السعودية برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ـ حفظه الله ـ ومساهمته.

ومن هذا المنطلق الذي ينبغي أن يؤخذ في الحسبان، يمكن إيراد خصائص نهج الفيصل ومكوناته في بعض النقاط، على الرغم مما في ذلك من صعوبة ومعاناة، لما اتسم به هذا النهج من عمق في الفكر ووضوح للهدف، وفعالية في الحركة، وجدية في العمل والتطبيق، وإيجابية في النتائج. نقول على الرغم من صعوبة الإحاطة والشمول، إلا أنه يمكن إجمال أهم هذه العوامل والخصائص فيما يلي:

أ ـ إن أول ما يقف عليه الباحث في نهج الفيصل في هذا المجال، أن فكرة التضامن الإسلامي لم تكن شيئًا طارئًا فرضته الظروف، وإنما كانت ذات جذور راسخة في تكوينه الفكري. فقد استظل الفيصل منذ ميلاده بظل العقيدة الإسلامية السمحة التي عمل والده الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ على تخليصها من أي شائبة تُعَكِّر صفوها، كما أنه ـ أي الفيصل ـ حفيد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الذي قاد حركة الإصلاح بمؤازرة جده الأكبر الإمام محمد بن سعود، كل ذلك، أسبغ على فكر الفيصل أصالة في التوجه، وعراقة في الانتماء إلى الثقافة الإسلامية في منابعها الصافية، فَتَوَلَّد في داخله إحساس عميق بأن عليه واجب إكمال المسيرة التي بدأها آباؤه وأجداده، وأن يمضي في درب تحقيق التضامن الإسلامي وفق ما يتوافر له من قدرات وإمكانات، وبحسب ما يتهيأ له من ظروف. وكان له في تجربة الملك عبدالعزيز في توحيد الجزيرة العربية ـ بعد طول فرقة وتشرذم ـ دروس وعبر، وحافز لتضييق أسباب الخلاف، والقضاء على عوامل التشتت، كما كان شعوره عظيمًا بخصوصية مكانة المملكة العربية السعودية في نفوس المسلمين، بوصفها مهد الرسالة، وخادمة الحرمين الشريفين اللذين تتعلق بهما أفئدة المسلمين في كل مكان، مما يلقي عليها تبعات ومسؤوليات ليست لغيرها، وتَجَسَّد هذا الشعور بالمسؤولية في مواقف كثيرة، فَيُذكر أنه ـ رحمه الله ـ أَصَرَّ في مؤتمرالخرطوم الذي انعقد بعد حرب 1967م على وصف ما تقدمه بعض الدول العربية ـ ومن بينها المملكة العربية السعودية ـ إلى دول المواجهة مع إسرائيل «بالالتزامات» عوضًا عن كلمة «المعونات»، ويسوغ

ذلك بقوله: «إننا لا ندفع هبة، بل نؤدي واجبًا».

ب ـ ويتوافق مع إدراك الفيصل مسؤوليات المملكة العربية السعودية إدراكه خطورة دور القيادة في توجيه الأمة نحو مقاصدها، مستخلصًا العبر والعظات من دروس التاريخ، التي توضح أن الأمم قد يضل مسعاها، وتخيب آمالها حين تفتقد القيادةَ الرشيدة التي تستشعر عظم المسؤوليات الملقاة على عاتقها، وكان رأيه - يرحمه الله ـ «أن القيادة عليها مسؤوليات كبيرة، فإن سعت أن تصل إلى الخير، فذلك ما ترجوه الأمم والشعوب، وما تطمح إليه، وإن جنحت بها الأهواء أو الأغراض أو سوء الحظ فهذه أكبر الكوارث التي تصيب الأمم وتصيب الأفراد».

وبرغم ما تعرض له الفيصل من مهاترات وأذى بفاحش القول من الذين ظنوا أن دعوته إلى التضامن الإسلامي وراءها تطلع إلى زعامة زائفة ومغانم آنية؛ إلا أنه لم يقابل كل ذلك إلا بالكلمة الحسنة، وبالتزام ما تفرضه روابط الدين، ومكارم الأخلاق، فكان يقول ـ يرحمه الله ـ: «لقد قيل عما نقوم به اليوم من دعوة إلى الإسلام، وإلى اتباع كتاب الله وسنة رسوله، وإلى تقارب المسلمين وتعاونهم، قيل في هذا الأقاويل، واعترض المعترضون وشَوَّشَ المشوشون، ولكن كأخ أقول لكم اليوم، وبكل صراحة، إن ما ندعو إليه هو أن يتقارب المسلمون وأن يتحابوا وأن يتعاونوا، وأن يشد بعضهم أزر بعض في كل ما يهمهم في أمر دنياهم وآخرتهم».

وقد حرص الملك فيصل على زيارة الدول الإسلامية جميعها من أجل إيجاد روح جديدة، تؤدي إلى تدافع الحركة نحو التضامن الإسلامي، مع حرصه ـ رحمه الله ـ على ألا تؤثر الخلافات بين القيادات في مصائر الشعوب، ومصالح الأمة.

جـ ـ لم يكن الملك فيصل يرى تناقضًا بين العروبة والإسلام، وكان اعتقاده الراسخ أن الإسلام هو الذي فَجَّرَ طاقات العرب، وقادهم إلى ارتياد آفاق الحضارة، حتى بلغوا من ذلك شأوًا عظيمًا، حين فاقت الحضارة الإسلامية

حضارات سابقة كانت ملء الأسماع والأبصار، وهذا الدور التاريخي الذي اضطلع به العرب في إبلاغ الرسالة وأداء الأمانة التي خَصَّهُم الله بها يلقي عليهم مسؤوليات مضاعفة لتحقيق التضامن الإسلامي، فكان ـ رحمه الله ـ يتوجه إلى العرب بقوله: «إنني أوجه أنظار إخواني من العرب إلى أنهم مسؤولون عن هذه الدعوة أكثر من غيرهم، لأن الله سبحانه وتعالى اختار نبيهم صلوات الله عليه وسلامه منهم، وأنزل كتابه بلسانهم وحملهم أمانة إيصال هذه الرسالة إلى بقاع الأرض، ولذلك، فإن مسؤولية العرب تجاه الدعوة الإسلامية مضاعفة بالنسبة لغيرهم من الشعوب».

د ـ أكسبت التجاربُ الطويلة في خضم السياسة الدولية الفيصلَ نفاذ البصيرة ودقة الحكم على الأمور، فأدرك بثاقب فكره وبعد نظره خطورة التيارات المادية والإلحادية التي تعمل على تقويض كيان الأمة ومسخ هويتها وإذابة شخصيتها، ولاسيما وقد جرفت هذه التيارات في طريقها فئة ليست قليلة؛ انخدعت ببريق شعاراتها وانجذبت إلى طروحاتها وحلولها، فتبنتها بغية زرعها في التربة الإسلامية، الأمر الذي دعا الفيصل إلى تنبيه الأمة إلى الخطر الذي يهددها، راسمًا أساليب مواجهته. ولم يكن هناك سلاح أمضى من التضامن الإسلامي لإحباط المؤامرات التي تحاك ضد الأمة مستهدفة وجودها ومقومات عزتها، فكان أن دعا إليه الفيصل بصدق وإخلاص، لتوحيد قلوب المسلمين وتقوية الأواصر فيما بينهم، من غير غوغائية أو شعارات رنانة، وإنما بجدية في الحركة ودأب في العمل من خلال قنوات عدة، منها القيام بزيارات إلى الدول الإسلامية، وإنشاء منظمات إسلامية وفق أهداف محددة، وأساليب معينة، وإقامة المؤتمرات والندوات التي تبحث شؤون المسلمين وترمي إلى إزالة الخلافات التي تنشأ بينهم، ليكونوا قوة ذات ثقل في توجيه السياسة الدولية التي لا مجال فيها للضعفاء.

ونخلص من ذلك كله إلى أن هدف جمع الكلمة وتوحيد الصف الإسلامي هو ما سعى إليه الفيصل بكل إخلاص وتفانٍ متجاوزًا في سبيل ذلك ـ بكل

أريحية ونبل خلق - أي إساءة تقصد شخصه، مما بوأه مكانة كبيرة في النفوس، وأنزله منزلاً عظيمًا في القلوب، حتى أصبحت دول العالم الإسلامي جميعها تنظر إليه في أوقات الضيق والشدة لتعرف رأيه وقراره، واثقة في أن فعله إزاء كل موقف عصيب لا يصدر إلا بعد طول نظر، وعمق تفكير، مما أكسبه المصداقية لدى الشعوب، والفعالية في معالجة الموقف.

وفي هذا الإصدار تناول الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد النهج الفيصلي في معالجة القضايا الإسلامية بوصفه أحد شهود العصر الذين عايشوا أفعال الفيصل وجهوده، وقد حدد معالم سبعة في ذلك المنهج، أبرزت مبادئه ومواقفه وأخلاقه ومنهجه، حتى أصبح رمزًا حيًا للتضامن الإسلامي، والدفاع عن عقيدة الأمة وهويتها.

وكشف المعلقان الأستاذ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة والأستاذ الشيخ زين العابدين الركابي عن جوانب مهمة في فكر الفيصل ومنهجه في معالجة قضايا أمته، ذلك المنهج الذي تميز بالثبات والوضوح، لاستناده إلى ثوابت العقيدة وقيم الأمة المستمدة من تلك العقيدة.

ومجلة الفيصل إذ تشكر لهؤلاء الأساتذة الأفاضل ما تفضلوا به من طروحات قيمة عن النهج الفيصلي في معالجة القضايا الإسلامية، ليسرها أن تهدي قراءها هذا الكتيب ضمن إصداراتها الخاصة بفعاليات احتفال مؤسسة الملك فيصل الخيرية بمرور عشرين عامًا على تأسيسها، آملة أن تكون هذه الإصدارات الأربعة قد حققت الغرض المنشود منها.

المدير العام لدار الفيصل الثقافية
ورئيس تحرير مجلة الفيصل

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

المحاضرة : **النهج الفيصلي في معالجة القضايا الإسلامية.**

المحاضر : معالي الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد.

رئيس الجلسة : معالي الأستاذ الدكتور أحمد بن محمد الضبيب

المعلقان الرئيسان : ١ ـ معالي الأستاذ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة

٢ ـ سعادة الأستاذ زين العابدين الركابي

التاريخ: ٢٦ ذو الحجة ١٤١٦هـ

الموافق: ١٣ مايو/ أيار ١٩٩٦م

المكان : قاعة الاحتفالات بمركز الخزامى ـ الرياض

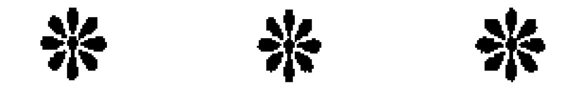
تقديم رئيس الجلسة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

لقد كان نهج المملكة العربية السعودية في معالجة القضايا العربية والإسلامية نهجًا مميزًا منذ عهد الملك المؤسس عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود - رحمه الله - حتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - يحفظه الله -. كان - ومازال - نهجًا يقوم على تلمس الخير أينما وجد، ويرتبط بالمحبة وتقوية وشائج الأخوّة والسعي إلى التقارب والوئام، والمسارعة إلى المساعدة والنجدة والبذل وتخفيف معاناة الإخوة والأشقاء دون منّة أو استعلاء، وكانت المرحلة التي تولى الشهيد الفقيد الملك فيصل - يرحمه الله - أمر هذه البلاد فيها مرحلة كثرت فيها الأحداث، وتفاعلت فيها القضايا، وقد أدار الملك الشهيد دفة العلاقة بين المملكة وشقيقاتها الإسلاميات بما عُرف عنه من إيمان وحكمة، وما تميز به من حنكة وصبر، وما توافر لديه من معرفة وذكاء. عن النهج الفيصلي المتميز يحدثنا أستاذ كبير وعالم قدير وعلم من أعلام الثقافة والفكر في بلادنا العربية والإسلامية، هو الدكتور ناصر الدين الأسد.

والأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد هو رئيس المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بالأردن، وعضو مجلس الأعيان بمجلس الأمة الأردني، وهو من مواليد معان عام 1923م، وقد حصل على الليسانس الممتازة في الأدب العربي عام 1947م، والماجستير في الآداب من القاهرة سنة 1951م، والدكتوراه في الأدب العربي من جامعة القاهرة عام 1955م. وتقلّب الدكتور ناصر الدين الأسد في عدد من الوظائف الإدارية والعلمية من بينها: كان وكيلاً للإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية بين عامي (1954–1959م)، وكان عميداً لكلية الآداب والتربية في الجامعة الليبية في بنغازي بين سنتي (1959–1961م)، وأستاذاً للغة العربية وعميداً لكلية الآداب بالجامعة الأردنية في عمان، وعمل رئيساً للجامعة الأردنية في عمان فيما بين سنتي (1962 –1968م) في المرة

الأولى، وفي المرة الثانية بين (1978-1980م)، وكان المدير العام المساعد والمشرف على الشؤون الثقافية في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في القاهرة من عام 1968م إلى عام 1977م، كما عمل سفيراً للأردن في المملكة العربية السعودية بين عامي (1977-1978م)، ووزيراً للتعليم العالي في الأردن بين عامي (1985- 1989م)، ورئيسًا لجامعة عمان الأهلية بين سنتي (1991-1993م) وفاز الدكتور الأسد بالعديد من الأوسمة والشهادات والميداليات والجوائز، أبرزها جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي عام 1402هـ، وهو عضو في عدد من مجامع اللغة العربية في الوطن العربي والهند، وشارك في العديد من المؤتمرات والحلقات الثقافية والتربوية العربية والدولية، ومن مؤلفاته: إعادة كتابة تاريخ نجد لحسين بن غنام (تحقيق)، وكتابه الشهير: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ومصحف الشروق المفسر الميسر (تحقيق). كما ترجم كتاب: يقظة العرب لجورج أنطونيوس.



نص المحاضرة

ستظل حياة الملك فيصل بن عبدالعزيز ومواقفُه ومبادئه موضوعات للدراسة والتحقيق، ومصدراً للتأثير والاستلهام، ومنهلاً للعظة والاعتبار والاقتداء، ومادة لتأريخ جوانب من حقبة حافلة في حياة العالم، وخاصة حياة العرب والمسلمين. شأنه في ذلك شأن العظماء الأفذاذ من مختلف الأمم، وهم الذين كُتِب عليهم أن يواجهوا أحداث التاريخ في بعض مراحله المضطربة، فيتسلموا زمام المبادأة والمبادرة في توجيه تلك الأحداث لخير بلدهم وأمتهم والعالم من حولهم. ولقد تناولتهم دراسات بلغت العشرات، بل إن نفراً من هؤلاء العظماء بلغ ما صدر عنهم مئات الكتب والفصول والمقالات؛ ومع ذلك فإن تلك الدراسات لا تحول دون دراسات جديدة، تستدرك على بعض ما سبق صدوره، أو تفصل مُجْمَلَه، أو تكمله وتضيف إليه، أو تختصره وتقربه إلى الناشئة وجمهرة القُرَّاء. وهي دراسات، في مجموعها، متفاوتة المستوى: يرضى عن بعضها فريق، وينتقد بعضها آخرون. ولكن الاستمرار في صدورها أمر يقتضيه الوفاء لهؤلاء الأفذاذ، ويوجبه حق الأمة على الكُتَّاب ليواصلوا تذكير الأجيال المتعاقبة، وخاصة الناشئة الذين لم يُتَح لهم الاطلاع على ما صدر من كتب ومجلات طُويت وحُفِظت على رفوف المكتبات؛ فهم محتاجون إلى تذكير دائم وتنبيه متصل، بكتابات معاصرة تخاطبهم، وباحتفالات تبصرهم بالأسس التي قام عليها حاضرهم، بفضل أولئك العظماء الذين أرسوا تلك الأسس، فارتفع البناء صرحًا شامخًا. ولا تتم لهذه الكتابات فائدتها إلا بمثل هذه المؤتمرات والندوات التي يقرأ فيها القارئون، ويسمع فيها السامعون، ويناقش فيها المناقشون، فتتسع دائرة التعريف بمضامينها. وهذا شأن الأمم الناهضة في الغرب والشرق التي لا ينقطع فيها سيل الدراسات عن عظمائها في الحُكم والقيادة والفكر والأدب، وإحياء ذكراهم في المناسبات المتعددة. ولسنا بأقلَّ من تلك الأمم عددَ عظماء في الميادين المختلفة، ولا يجوز أن نكون أقلّ منها وفاء لهم.

وها نحن أولاء نجتمع اليوم في ذكرى عظيم من عظماء هذه الأمة في الحكم والقيادة، وفذ من أفذاذها في الدبلوماسية والسياسة فكرًا وممارسة، وفارس من فرسان الإسلام، وسيف من سيوف الحق والإيمان. وقد توقفت عند هذه الصفات، لأن الكتابة عن المُحْدَثين والمعاصرين، أو الذين لهم امتداد معاصر في حياتنا، مدرجة إلى المبالغة، ومزلقة إلى التقرب والتزلف، ومدعاة إلى سوء ظن القارئ والمستمع. وما أكثر الذين سقطوا في تلك المزالق. ولكن الخوف من السقوط فيها لا يجوز أن يمنع الكُتَّاب - وهم شهود العصر - من التصريح بما يرونه حقا، ولا أن يجعلهم يُحجمون عن تسمية الأشياء بأسمائها، ووصف الأشخاص بصفاتهم. فحجب الثناء عمن يستحق ككيل المديح جزافًا لمن لا يستحق، كلاهما ينتقص من قَدْر المادح والممدوح.

هذا، وقد صدر عن الفيصل من الكتب والمقالات باللغات الأجنبية، وخاصة الإنجليزية، ما لا يقل عما صدر باللغة العربية إلا شيئا يسيرًا. وبعض أصحاب تلك الكتابات عايش فيصلاً، واتصل به من قُرب، فأورد وقائع وأحداثًا وذكريات عاش فيها وشاهدها، ومنهم من لم يكن قد عرفه إلا بعد أن كتب ما كتب عنه فلما اتصل به ازداد معرفة بجوانب كانت خافية عنه، ومنهم من لم يعرفه ولم يَلْقَه، ولكنه عايش أفعاله وجهوده وتابع مواقفه ونشاطه، فكان له ما يكفي مادة لكتابته. ومن هنا اختلفت دوافع الكتابة، وتعددت اتجاهاتها، وتفاوتت مستوياتها وقيمتها. والنظرة الفاحصة الموضوعية قادرة على أن تستفيد من هذه الكتابات وعلى أن تستخرج منها ما هو أقرب إلى الحقيقة، فهي مادة خصبة لمن يريد الكتابة ممن لم يعرف فيصلاً معرفة المعايش له أو المتابع لأخباره في حياته.

والمنهج الفيصلي في معالجة القضايا الإسلامية واضح المعالم ولكنه متشعب الجوانب. وينطلق من العناصر الأساسية لتكوين شخصية صاحبه، وما حباه الله به من صفات وشمائل، وما تعلمه في مدرسة والده. فقد نشأ نشأة

إسلامية صافية، فتشربت روحه حقيقة الإسلام وجوهره وقيمه ومبادئه. فكان توجهه إلى الله تعالى في أعماله كلها، لا يبغي منها سوى وجهه تعالى وما يعود على المسلمين بالخير. كانت تقوى الله نُصْبَ عينيه دائمًا.. كان يراقب الله ويخافه في حركاته وسكناته. ولم يكتف بأن يجعل ذلك ديدنه، وإنما دعا إليه مواطنيه، فقد قال في خطابه الذي وجهه إلى شعبه إثر مبايعته بالملك[1]: «وأول ما نرغب فيه منكم تقوى الله سبحانه وتعالى، والتمسك بتعاليم دينه وأحكام شريعته، فهو أساس عزتنا، وهي مرد حكمنا وسر قوتنا...».

ويوسع من نطاق دعوته لتشمل المسلمين جميعًا، فيخاطب وزراء خارجية الدول الإسلامية بقوله[2]: «... يجب علينا قبل كل شيء أن نعود إلى ربنا سبحانه وتعالى وأن نستعيد إيماننا بالله، وتمسكنا بعقيدتنا، والسعي بإخلاص للدفاع عن أنفسنا، وعن كرامتنا وعن مقدساتنا، بكل ما أوتينا من قوة... ونحن لسنا ولله الحمد من الضعف إلى درجة تعجزنا عن أن نقوم بواجبنا، ولكننا في حاجة فقط لقوة الإيمان، والإخلاص في العمل، والعزيمة على التنفيذ».

ومن هذا الشعور الديني العميق والنشأة الإيجابية السليمة انطلق قوله بُعيد مبايعته بالملك[3]: «تكرر على سمعي لفظ (صاحب الجلالة) و (الجالس على العرش) وما أشبه ذلك... إن (الجلال) لله سبحانه وتعالى، وإن العرش هو عرش رب السماوات والأرض، وإن هذه الكلمات وهذه الصفات دخيلة علينا في ديننا وفي لغتنا... إنني حينما أسمع كلمة (صاحب الجلالة) أو (الجالس على العرش) فإنني أتأثر من ذلك أشد التأثر، لأنني بشر وكل بشر يجب أن يكون عبدًا لله ذي الجلال والإكرام والجالس على عرشه سبحانه وتعالى. ولا يفرقني عنكم أيها الإخوة إلا أنكم تفضلتم وتكرمتم فحملتوني المسؤولية لحسن ظنكم وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يعينني على ما حملتمونيه، وأن يهديني سواء السبيل، وأن أكون في خدمتكم إلى أن يتوفاني الله، فإن أحسنت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي».

إن هذا الخُلُق الإسلامي يذكرنا بمواقف والده الملك عبدالعزيز الذي كان يكرر في خُطبه القول المألوف (الملك لله وحده) فيقف عند كل كلمة منها، متجردا أمام ربه من صفة (المُلْك) وقد أعقبها في إحدى خطبه بقوله: «وما نحن إلا خدم لرعايانا...» [4].

ولا نكاد نجد خطبة من خطبه إلا وفيها إشارات وتوجيهات واضحة تدل على عمق إيمانه، وتمسكه بأحكام دينه، وزهده في المظاهر، وحثّه السامعين على اتباع شريعة الله، وحرصه على رفع راية الإسلام والعمل على مصلحة المسلمين. ففي الحفلة التي أقيمت له في مكة المكرمة بمناسبة توليه المُلك، قال[5]: «لقد تكرمتم فأهديتموني كتاب الله العظيم، يُهْدى من هذا البلد الكريم الذي منه بُعث محمد صلوات الله وسلامه عليه، وشعّ منه نور الحق، وإني لأرجو الله مخلصًا أن تكونوا أيها الإخوة، وأنا منكم، ممّنْ يتبع هذا الكتاب: يُحِلّ حلاله، ويحرم حرامه، ويتأكد من أحكامه، ويهتدي بهديه، وهذا هو أفضل الخُلُق في الدنيا والآخرة. لقد شعرت من بعض الإخوة، من بعض الأحاديث أنكم آخذون على أخيكم في نفوسكم لما رجوتكم أن تتجنبوا المظاهر الزائفة، وأن تمتنعوا عن إقامة الزينات والمهرجانات أو الحفلات التي ربما يُقْصَد منها إظهار عاطفة الأخوّة ومشاعرها، ولكنني أيها الإخوان حين رجوتكم أن تتجنبوا هذه المظاهر فلسبب واحد، هو أنني لا يخامرني شك في محبتكم وإخلاصكم... إن علينا واجبات كثيرة، وبالأخص أنتم أيها الإخوة سكان حرم الله، فإن عليكم واجبًا مقدسًا، هو أن تكونوا المَثَل الأعلى، يُقتدى بكم بالإيمان بالله، والإخلاص له، واتباع شريعته، والتأدب بآدابه، والتحلي بالأخلاق الفاضلة والأمانة في كل ما تعملون لدينكم ودنياكم... أسأل الله العلي القدير أن يوفقنا جميعا لما يُرضي وجهه الكريم... وأن نكون خير أمة أُخرجت للناس: تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر... وأن نكون قادة للإسلام كما كان أسلافنا في الماضي...».

فمن كان هذا الإيمان شأنه، ومن كانت هذه الرعاية للمسلمين ديدنه، ومن

حرص على أن يقتدي بالسلف الصالح ليصبح قائدًا من قادة الإسلام، كان لابد أن يسعى دائبًا لجمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم وفق منهج واضح المعالم يضعه نُصْبَ عينيه ويجتهد لتحقيقه.

وربما كان من أوائل معالم هذا المنهج أنه كان يرى في قوة العرب قوة للمسلمين، وفي قوة المسلمين قوة للعرب، لا يفرق بينهم، فالعرب مادة الإسلام ودعامته، وهو القائل(6): «أهمل العرب ناحية مهمة تعتبر الأساس في عزتهم وكرامتهم، وهي الإسلام. فإذا استمروا يتهاونون فيها فإنهم سيهبطون، أما إذا عادوا إلى ما أنعم الله به عليهم، وسلكوا الطريق السوي فسيصلون إلى مرضاة الله، وتتحقق لهم عزتهم وكرامتهم... والحوادث التي مرت على العرب جميعًا هي خير درس نستنبط منه... لرسم خطط مستقبلنا ومستقبل أمتنا لنشيد ـ على أساس من الحق ومن العدل ومن الدفاع عن حقوق مشروعة ـ بنيانًا لهذه الأمة العربية ولإخواننا في جميع الأقطار الإسلامية... ليس للعرب فضل إلا بهذه الرسالة المباركة، وهذه الرسالة جعلت العرب في خدمة هذا الدين، وحينما تنكّر العرب لها لقوا ما لقُوا من إذلال واستعمار وظلم واغتصاب...».

فإذا كان الأمر كذلك فإن المَعْلَمَ الثاني في هذا المنهج هو أن يكون العرب جميعًا في خدمه هذا الدين، وليس فيصلاً وحده. فالدعوة إلى توحيد مواقف المسلمين وجمع كلمتهم «ليست دعوة فيصل... هذه دعوة ربنا سبحانه وتعالى... إن الدعوة إلى تآخي المسلمين وإلى تقاربهم وإلى تعاونهم ليست ملكًا لي وحدي، ليست لفيصل... إنها ليست خاصة بفرد ولا وقفًا على شخص لكنها فريضة على كل مسلم ومسلمة»(7).

والمَعْلَمُ الثالث في هذا المنهج يتمثل في أن الدعوة إلى تكافل المسلمين وتعاونهم ليست دعوة أملتها ظروف سياسية عابرة أو مؤقتة، وليست رغبة في بسط نفوذ أو توسيع رقعة الهيمنة لدولة بعينها، وإنما هي ضرورة وواجب بغيرهما

لن تتحقق للمسلمين أسباب القوة والنهضة. وتأكيداً لهذه المعاني يقول[8]: «كثير من المسلمين اليوم، وأقولها والمرارة تخنقني: مسلمون بالاسم، مسلمون بالوراثة. وكلنا نعلم حالة المسلمين، وكلنا نعلم ما وصلنا إليه من نقص ومن قصور ومن تراخٍ. لقد طرأ على المسلمين ما جعلهم في مؤخرة الأمم، نهبًا بين أيدي الطامعين، مستعبَدين مستذَلِّين، لا لشيء إلا لأنهم انحرفوا عما أراده الله لهم من إيمان بالله، وعن توحيده وعبادته حقَّ العبادة. فأراد سبحانه وتعالى أن ينبههم وأن يعيدهم إلى ما فيه عزهم وقوتهم وسؤددهم. إذا كنا نعمل ما ينكره ديننا ونتكاسل عما يفرضه علينا ثم نقول إننا مسلمون، فهذا هو سبب ما وصلت إليه أحوالنا إلى ما هي عليه اليوم...».

والمَعْلَمُ الرابع متصل أوثق اتصال بسابقه وبلاحقه، شأن المعالم كلها التي تتسلسل في نَسَق وتتماسك في انسجام، وهو أن الشريعة الإسلامية السمحة فيها ما يكفينا لتنظيم شؤون ديننا وما يغنينا عن استجلاب أفكار وأنظمة لا تناسبنا، ولكن علينا أن نفهم هذه الشريعة فهمًا صحيحًا بعقول متفتحة لنواجه المستجدات والمتغيرات، ولذلك نراه يقول[9]: «فما دام أننا مسلمون، ونعترف بأننا مسلمون، فلماذا نجنح ونحكّم غير كتاب الله وسنة رسوله؟ علينا أن نتفهم شريعتنا وندرسها، ونتفقه فيها لنستنبط منها ما يلائم عصرنا... لماذا نلجأ إلى القوانين الوضعية والدساتير التي تتعارض مع أصول ديننا وهناك دستور شامل يربط بين المسلمين وهو كتاب الله وسنة رسوله؟ لا يمكن لنظام أو قانون وضعي أن يبلغ ما بلغه دين الإسلام من تنظيم وتدقيق... ونعتقد أن شريعتنا تحتوي على كل ما فيه خير البشرية: من تقدم ومن علم ومن ثقافة ومن اقتصاد ومن تشريع مُحْكم يمنع الظلم ويحقق العدل والمساواة بين جميع البشر. وفي شريعتنا ما يغنينا ويكفينا عن أن نستورد أية شريعة أو أيّ منهج أو أي قانون من بلاد أخرى...».

أما المَعْلَمُ الخامس الذي ذكرنا أنه متصل بما قبله أوثق اتصال فهو

الحضّ على العمل ومطابقة القول للفعل، فهو القائل[10] : «فيجب أن نعمل ونعمل ونعمل أكثر ما يمكن... ونثبت وجودنا بالعمل لا بالخطب والتصريحات والتهديدات...». ويخاطب وزراء خارجية الدول الإسلامية بقوله[11]: « ... فلهذا لا أجد اليوم لنا أي عذر أو أي مبرر أن نتقاعس أو نتأخر، عن أن نعمل، ونعمل بجد، وإلا تكون اجتماعاتنا ولقاءاتنا هي عبارة عن خطب أو كلمات رنانة أو قرارات تُتَّخذ، ولكن يجب أن تكون أعمالاً وأفعالاً يراها القريب والبعيد، ويحسّ بها الصديق والعدو، وألا ينطبق علينا قوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ فإنني أربأ بنا جميعًا إن شاء الله أن نكون من هذا الصنف، فإذا قلنا، فيجب أن نفعل، وإذا قررنا، فيجب أن ننفذ...».

وللفيصل أقوال مأثورات كثيرة في وجوب أن يقترن العمل بالقول، فهو القائل[12]: «لقد مضى وقت الكلام وجاء دور العمل... إن التلويح بالتهديد لا يجدي نفعًا إذا لم يقترن بالعمل المجدي الرابح...». وهو القائل أيضاً[13]: «إن الأمم ليست بالمظاهر... وإنما بالأعمال، ولذلك حثّ سبحانه وتعالى على العمل وقال: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ﴾ فالعمل هو الأساس، والمطلوب منا هو العمل النافع، العمل المنتج...».

وسادس هذه المعالم في منهج الفيصل في معالجة القضايا الإسلامية دعوته المسلمين إلى الاعتماد على أنفسهم وتعاونهم فيما بينهم، والتحذير من الاعتماد على الأجنبي أو الثقة به لأنه لا يريد بالمسلمين خيراً. فهو القائل مخاطبًا وزراء خارجية الدول الإسلامية في خطبته السابقة[14] : «يجب ألاّ ننتظر من أعدائنا، أعداء الإسلام، أي إنصاف أو أية مساعدة، حتى ولو قال أحد منهم إنهم يساعدوننا أو يؤيدوننا، فهذا لا يتعدّى اللفظ فقط، ولكن في الحقيقة هم ليسوا معنا، وإننا في العشرين سنة الماضية[15] رأينا ولمسنا من كل الأطراف وكل الجهات ماذا كانت مواقفهم معنا، وماذا كانت أعمالهم

بالنسبة لقضيتنا... ولكننا يجب ألا نقتصر كذلك على هذا الأمر، بل يجب أن يكون هدفنا هو ارتباطنا دائمًا، وتعاوننا دائمًا، وتماسكنا فيما بيننا على أساس من الإيمان والإخلاص...». والفيصل هو الذي أطلق صيحته المدوية[16]: «لمن نلجأ، وإلى من نمد حبال آمالنا وأمانينا إذا لم نلجأ إلى ربنا سبحانه وتعالى...؟ هل نلجأ إلى الدول العظمى؟ ماذا فعلت بنا الدول الكبرى؟ إن نتائج سياساتها ومقرراتها واتجاهاتها نحصدها اليوم...».

ومن أبرز هذه المعالم: المعلم الذي يجيء في ترتيبنا هنا سابعًا، لأنه نتيجة للمعالم والمواقف السابقة كلها، يترتب عليها ترتُّبًا منطقيًا طبيعيًا، وهو موقفه من قضية فلسطين عامة والقدس خاصة. وهو موقف أصيل قديم بدأ مع أوائل تصدّيه للمسؤوليات السياسية في بواكير شبابه منذ أن عيّنه والده وزيرًا للخارجية في سنة 1930م وهو في الرابعة والعشرين من عمره، ثم أخذ يبحث القضية الفلسطينية في المؤتمرات الدولية والزيارات لرؤساء الدول الأجنبية، وكان أول هذه المؤتمرات مؤتمر لندن الذي دعت إليه الحكومة البريطانية في سنة 1939م لبحث القضية الفلسطينية، وقد حضره مندوبون عن فلسطين والدول العربية ومثّل الفيصل فيه بلاده[17]، ووقف فيه موقفًا حازمًا بانسحابه منه بسبب سلوك أحد الوفود العربية[18] ولا يكاد خطاب للفيصل يخلو من ذكر القدس والإهابة بالعرب والمسلمين أن ينقذوها، ومن ذكر فلسطين والكوارث التي حاقت بأهلها وبأرضها، ومن التنديد بالاحتلال الإسرائيلي والتحذير من شرور الصهيونية التي قال عنها[19]: «كان أحد الأئمة يصف الخمر بأنها أمّ الخبائث، وأنا أقول إن الصهيونية هي أم الخبائث، لأنها أسباب كل المشاكل في العالم: الشيوعية جاءت من الصهيونية، المبادئ الهدّامة جاءتنا من الصهيونية، الخروج على كل المبادئ وكل التقاليد وكل الأعراف وكل الآداب وكل الكرامة والشرف جاءت إلينا من الصهيونية. كل ذلك لأنها تحاول أن تسيطر على العالم، ولا يمكنها ذلك بعددها وقوتها، ولكن بهذه المبادئ تبثُّها بين الشعوب

حتى تصل هذه إلى درجة من التحلل والتفسّخ، وحينئذ يتم للصهاينة السيطرة على العالم». وليس من شك في أن هذا الكلام يدل على معرفة الفيصل بحقائق الأمور التي أصبحت الآن ظاهرة للعيان، وأصبح كثير من الناس يكرر مثل هذا الكلام بعد مرور ربع قرن عليه. ثم إنه يدل على الصراحة والوضوح والجرأة، وهي صفات كانت معروفة عنه، فقد كان من دأبه مصارحة من يخاطبهم، ولا يلجأ إلى ما يلجأ إليه بعض الحكام من المداورة والمداراة. وكذلك كانت جرأته في التعبير عما يعتقد أنه حق مَضرِبَ المثل بين مَنْ حوله ومن يتصلون به أو يتصل بهم، فقد كانوا يعرفون أنه يسمي الأشياء بأسمائها ويصفها بصفاتها، ولا يخشى في قوله أو عمله إلا الله عز وجل. وهو من شدة صدقه وعمق إخلاصه في مشاعره يوحد ما بين نفسه والفلسطينيين فيستعمل عند الحديث عن فلسطين ضمير المتكلم، وذلك في مثل قوله[20]: «الآن تُحتل أراضينا، وكراماتنا، وحرماتنا تُنْتَهك، ومقدساتنا تهدم؛ ومع هذا يقال لنا: انتظروا، انتظروا! إلى متى؟ إلى أن يُقْضَى علينا مرة واحدة؟». فالفلسطينيون ـ عند الفيصل ـ ليسوا سوانا، وإنما هم نحن، وأرضهم أرضنا «إننا دعاة حق، ودعاة سلم، ودعاة محبة، ولكننا في نفس الوقت لسنا ألاء، ولسنا ممن تخضع رؤوسهم أو تداس حرياتهم ويخنعون... ماذا ننتظر؟ هل ننتظر الضمير العالمي؟ هل ننتظر من أميركا أو من روسيا أو من إنجلترا أو من فرنسا أن تأتي... وتحلّ مشاكلنا؟ ونحن نراها في كثير من الأمور تناصر هؤلاء المعتدين وتؤيدهم في اعتداءاتهم، إن نتائج سياساتها ومقرراتها واتجاهاتها نحصدها اليوم... فماذا ننتظر؟ وإلى متى ننتظر؟ ومقدساتنا وحرماتنا تُنْتَهك؟ ماذا يخيفنا؟ هل نخشى الموت؟ هل هناك ميتة أفضل وأكرم من أن يموت الإنسان مجاهداً في سبيل الله؟». وهو يكرر التعبير عن هذه المشاعر المؤمنة الجياشة الصادقة بصيغ وصور متعددة منها قوله[21]: «... وعلينا ـ نحن المسلمين ـ أن ننادي ليوم قريب نلتقي فيه جميعًا على أرض القدس، لتحرير أرضنا المغتصبة، وإنقاذ

مقدساتنا الدينية من براثن الصهيونية الغادرة، لنفوز بإحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة. راجيًا من الله عز وجل أن يكتب لي الشهادة في ساحة الجهاد مدافعًا عن دينه ومقدساته».

وهو يعيد هذه المعاني في كل مناسبة، فهو يخاطب جموع الحجيج بقوله[22]: «إن هناك مقدسات لكم تداس وتهان وتُرغم يوميًا. فهناك أرض المعراج، هناك أولى القبلتين، هناك ثالث الحرمين الشريفين، فهو لنا جميعًا... إنه ليس للعرب دونكم أيها الإخوان، لكنه للمسلمين جميعًا، وإنه ليتعرض اليوم لأعظم الكيد... وإني لأهيب بإخواني المسلمين أن يهبّوا لنصرة دينهم، وللدفاع عن مقدساتهم لأن الله سبحانه وتعالى قد فرض علينا ذلك وقال في محكم التنزيل: ﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ . . . ﴾ ».

والفيصل رجل مجرّب حصيف يعرف كيف يوجِّه أطراف الحديث حين يفرق بين الاعتداء الإسرائيلي الصهيوني واليهود، فيقول[23]: «... المفهوم في الغرب، بالاستقاء مما تبثه الدعاية الإسرائيلية، أننا نريد أن نقذف بكل يهودي إلى البحر. نحن لم نقصد هذا، ولم نسعَ إليه. ونحن في كل الأوقات نعترف باليهود الذين هم من أصل فلسطيني، الذين لم يأتوا من الخارج، لأنهم مواطنون فلسطينيون يعيشون مع إخوانهم المواطنين العرب. لكن إسرائيل، ومن ورائها الصهيونية العالمية هي التي خلقت هذا الشعور بأننا أعداء اليهود كيهود. وهذا مغاير للحقيقة، فنحن أعداء الاعتداء، لأن إسرائيل اعتدت على العرب في وطنهم وأخرجتهم وشرَّدتهم من بيوتهم وأراضيهم، ورمتهم في المخيمات والملاجئ، واحتلت بلادهم بأناس لا يرجع أصلهم إلى البلاد التي يحتلونها الآن، ولهذا فنحن لا نعترف بأن هؤلاء فلسطينيون، إنما نعتبرهم غرباء على بلاد احتلوها بالقوة وطردوا أهلها. هذا هو في رأينا اعتداء صريح على الإنسان، وحق البشرية، وحق كل شعب في بلاده وأرضه...».

ونحن نرى أن الفيصل كان ينطلق من مواقف ثابتة ومن مبادئ واضحة،

ويجمع العوامل والعناصر المتعددة حين يتوجه بخطبه وأحاديثه إلى العرب أو المسلمين أو إلى المحافل الدولية. فهو يستثير المشاعر الدينية - التي يؤمن بها إيمانًا عميقًا - حين يشير إلى انتزاع المقدسات وانتهاكها. ويستثير النخوة العربية - المتأصلة في نفسه - حين يندد بالاحتلال وبمناصرة الدول الكبرى، الغربية والشرقية، لهؤلاء المحتلين وتأييدهم في عدوانهم. وهو يستثير المشاعر الإنسانية - التي تملأ وجدانه - حين يشير إلى اقتلاع شعب من أرضه وطرده من وطنه وإحلال غاصبين معتدين مكانه. وهو يستثير العقل العالمي ويحركه حين يشير إلى المواثيق الدولية وما تضمنته من حقوق الإنسان وحريات الشعوب وحقها في تقرير مصيرها، وقد شارك - بنفسه أو من خلال ممثلي بلاده في الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة - في وضع بعض تلك المواثيق والمبادئ والدعوة إليها، ومناقشة بعضها الآخر والتحفظ على أجزاء منه.

ولكن ما هو الحل في رأي هذا الملك المجرّب؟ إن الجواب سرعان ما يجيء مؤكدًا مكررًا، صريحًا مجلجلاً، في كل مناسبة «... لا يجدي القضية العربية وينفعها إلا التآزر والتكاتف بين العرب. فبالتعاون فيما بينهم يخدمون قضيتهم، ويصونون حقوقهم، ويدرؤون الخطر عن أنفسهم...»[24].

وقد أشرنا فيما تقدّم إلى أن الفيصل كان يرى في قوة العرب وعزّتهم قوة وعزة للمسلمين، ويرى أن التعاون العربي يؤدي إلى تعزيز التعاون الإسلامي، بل إنه يرى أن العرب مسؤولون عن الدعوة إلى التضامن الإسلامي، «أكثر من غيرهم... لأن الله سبحانه وتعالى ائتمنهم عليها وحمّلهم مسؤولياتها وجعل نصرهم وعزّهم في ضوئها وبسببها... نحن دعاة للوحدة العربية... وذلك لا يتنافى مطلقًا مع الدعوة إلى الوحدة الإسلامية، وإنما في اعتقادنا أن الدعوة للوحدة العربية والاتحاد العربي نواة لوحدة إسلامية كبرى... على أسس ثابتة مدروسة تراعي فيها مصلحة كل شعب... إن التضامن الإسلامي هو قوة للتضامن العربي وللجامعة العربية...»[25].

كانت الحكومات العربية حينئذ موزعة الاتجاهات، منقسمة على نفسها، يسودها التنازع والصراع السياسي والمذهبي، تغلغلت فيها دعوات واتجاهات غريبة عن طبيعة مجتمعها. ففيها حكومات توصف بأوصاف مختلفة مثل: الثورية والتقدمية والاشتراكية، في مقابل حكومات كانت تُنْبَز بأنها رجعية وعميلة وخائنة ورأسمالية. وكان رؤساء بعض هذه الدول يشنون حملات شعواء على رؤساء الدول الأخرى، مسخرين وسائل إعلامهم المختلفة، ومستعملين أقسى النعوت والعبارات، بل كانوا لا يتورعون عن المناداة المستمرة بإسقاط أولئك الرؤساء وتأليب شعوبهم وتحريضهم عليهم. فتبلبلت الشعوب، وتقاطع الرؤساء والحكومات، وأُغلقت الحدود بين بعض هذه الأقطار العربية عدة مرات لأزمنة متفاوتة، وتعرّض المواطنون العرب في بعض الأقطار العربية الأخرى للملاحقة والاعتقال والطرد والإضرار بمصالحهم.

وكان بعض العرب قد تطرّف في فهم القومية والاشتراكية، وجعلهما مناقضتين للإسلام، معاديتين له، وغالى في الدعوة إليهما ومحاولة فرضهما. وكانت الدول الأجنبية تؤرّث نيران الفُرْقة بين الدول العربية، وتؤجّج العداوة والتناحر بينها. وانقسمت هذه الدول العربية إلى معسكرين: شرقيٍّ وغربيٍّ، تبادلا التهم والحرب النفسية والكلامية، على نحو ما كان يحدث بين المعسكرين العالميين الشرقي الشيوعي بزعامة الاتحاد السوفييتي، والغربي الأوروبي بقيادة الولايات المتحدة.

وتوالت الانقلابات العسكرية في البلاد العربية والإسلامية في أثناء توليه الملك: فانقلاب في الجزائر (1965/6/19) يقوم به بومدين على ابن بيلا، وانقلاب على سوكارنو في إندونيسيا (1965/9/30) بعد استفحال الشيوعية فيها، وانقلاب في اليمن (1967/11/26) يطيح بعبدالله السلال وهو في بغداد، وانقلاب في بغداد (1968/7/17) على عبدالرحمن عارف وهو في تركيا، وانقلاب في ليبيا (1969/9/1) على الملك السنوسي وهو في اليونان وقيام الجمهورية الليبية،

والسلطان قابوس يتولى الحكم في مسقط (1970/7/24) بدل أبيه سعيد بن تيمور، إلى غير ذلك من انقلابات وثورات تصحيحية، واغتيالات ومحاولات للاغتيال، وخلافات على الجزر والحدود، وسواها من أحداث جسام[26].

وكانت الدول الأجنبية ـ من قبل ـ قد استغلت الضعف العربي والإسلامي العام الذي فرضه الاستعمار الطويل على أقطار العرب والمسلمين، فغرست في قلب الأمة العربية الإسلامية خنجر الصهيونية وأقامت دولة إسرائيل، ثم استغلت تلك الدول التمزق العربي الذي وصفناه، فتعرضت بعض البلاد العربية لعدوان متكرر، وتوسعت إسرائيل أكثر مما منحها قرار التقسيم، ثم ضاعت سيناء والضفة الغربية والجولان وأجزاء من جنوبي لبنان. وانطبق على المسلمين وصف الفيصل لهم بقوله[27]: «كثير من المسلمين اليوم، وأقولها والمرارة تخنقني: مسلمون بالاسم، مسلمون بالوراثة. وكلنا نعلم حالة المسلمين، وكلنا نعلم ما وصلنا إليه من نقص ومن قصور ومن تراخٍ. لقد طرأ على المسلمين ما جعلهم في مؤخرة الأمم، نهباً بين أيدي الطامعين، مستعبَدين مستَذّلين...»

من أجل هذا كله كان من الطبيعي أن يحمل هذا الملك العربي المسلم هموم أمته، وأن يطيل التفكير في أحوالها، وتلمس العلاج لأمراضها. فوجد أن هذا الضعف والهوان اللذين أصابا العرب والمسلمين، ليس لهما من سبب إلا الفرقة والتناحر. وأن العلاج هو في التضامن والتعاون اللذين هما المصدر الحقيقي لقوة الأمة. فنذر نفسه للدعوة إلى التضامن العربي والإسلامي ليعيد إلى الأمة عزّتها وكرامتها.

وهكذا لم يكد ينقضي العام الأول على توليه المُلك حتى بدأ رحلاته في العالم الإسلامي للدعوة إلى تضامن أقطاره، فلم يترك قطراً إسلامياً إلا زاره: زار إيران في آخر سنة 1965م، وبعد شهرين زار الأردن، ثم زار بعد أقل من شهر الخرطوم، وبعد نحو شهرين زار الباكستان. ثم زار في السنة نفسها: تركيا، والمغرب، وغينيا، ومالي، وتونس. ثم زار خلال السنوات الثلاث التالية

عدداً من الأقطار الإسلامية منها: الصومال، والكويت، ومصر، وماليزيا، وإندونيسيا، وأفغانستان، والجزائر. وكان في كل قطر من هذه الأقطار يجري محادثات مع رئيسه ويعلنان التأييد لدعوة التضامن الإسلامي. وكذلك كان في أثناء ذلك كله يحضر المؤتمرات العربية والإسلامية، ومن أهمها: مؤتمر القمة العربي في الخرطوم (26 أغسطس/آب 1967) وهو المؤتمر الذي تقررت فيه اللاءات الثلاثة: لا صلح، ولا اعتراف بإسرائيل، ولا تفاوض معها. ومؤتمر القمة العربي الخامس في الرباط (20 ديسمبر/كانون الأول 1969) وقد أعلن فيه للدول العربية: إذا أردتم المعركة فميزانية السعودية كلها لها.

وكان من التضحيات الجسام التي قدَّمها الملك فيصل - باسم المملكة العربية السعودية - لتحقيق التضامن العربي تحقيقًا عملياً، وليس محض خطب وتصريحات، أنه أمر (10 يونيو/حزيران 1967) بوقف ضخ النفط إلى إنجلترا وأمريكا بعد العدوان الإسرائيلي الذي حدث قبل ذلك بخمسة أيام (5 يونيه/حزيران 1967) ولم يعد ضخ النفط إلا بعد ثلاثة أشهر، بناء على طلب الدول العربية وإلحاحها. فاستعاضت المملكة العربية السعودية بقيادة الفيصل عن ذلك بتقديم دعم مالي سنوي لدول المواجهة مع إسرائيل لمساعدة تلك الدول على إزالة آثار العدوان.

وتعرّض المنهج الفيصلي في معالجة القضايا الإسلامية ودعوته إلى التضامن الإسلامي، لمقاومة عنيفة من بعض الدول الأجنبية والعربية؛ فقاومه الاتحاد السوفييتي وما كان يدور في فلكه من أنظمة عربية اشتراكية، ومن أحزاب يسارية أو تقدمية، ومن تجمعات نحت هذا المنحى مثل مجلس السلام العالمي. وسلّطت تلك الأنظمة والأحزاب والتجمعات في هجومها الكتّاب والصحف وبعض شيوخ الدين منذ مطلع سنة 1966م[28]. وامتدّت حملات الهجوم والمقاومة والتشويه حتى شملت المملكة العربية السعودية ونظام الحكم فيها. ولكن الملك فيصلاً كان مؤمنًا بربه، واثقًا بسلامة دعوته وموقفه، فلم

تزعزعه هذه الحملات قيد أنملة، فظل صابراً مثابراً، بل كان يقابل الإساءة بالإحسان كلما سنحت الفرصة. فاستقبل بعض الذين هاجموه وقاوموه حين احتاجوا إلى لقائه، وإلى طلب مساعدته وتأييده، وحين رأى أن الموقف العربي يستدعي نسيان ما كان، ويقتضي فتح صفحة جديدة في العلاقات بين الأشخاص والحكومات والشعوب، وتغليب المصلحة العامة على المشاعر الشخصية. وقد مدّ يده لهؤلاء الحكام وتعاون معهم تحقيقًا لدعوته إلى التضامن العربي والإسلامي، بل قدّم لهم ولدولهم مساعدات متكررة تعينهم على تجاوز ما كانت بلادهم تعانيه من ضائقة. وكان يأبى أن يُسمّى ما تقدمه بلاده «مساعدات» أو «معونات»، وكان يُصرّ على أن تُسمَّى «التزامات» ويعلل ذلك بقوله: «لأننا لا ندفع هبة، بل نؤدي واجبًا»[29].

لقد أيقظ الملك فيصل وعي الأمة الإسلامية بدعوته وبجهوده، وجعل العالم الإسلامي يدرك قيمة ثرواته الطبيعية ومصادره الكامنة فيه. لقد كان في حياته الرمز الحيّ للتضامن الإسلامي.. بذل جهودًا شخصية متواصلة لجمع الأقطار الإسلامية بالتوفيق بينها ومحاولة جعلها تتجاوز خلافاتها. وقدّم لها معونات سخيّة.. ولطالما ساند المؤسسات الدينية والتعليمية والثقافية الإسلامية في جميع أنحاء العالم[30].

هذا هو الفيصل بمواقفه، ومبادئه، وأخلاقه، ومناهجه في معالجة القضايا الإسلامية. وقد أوجزنا الحديث في كل ذلك إيجازًا، واكتفينا بأمثلة وشواهد قليلة تدلّ على غيرها. وحاولنا أن نقف وقفات فيها شيء من التحليل وربط النتائج بالمقدمات والأسباب في حدود ما تسمح به دراسة مقدّمة إلى مؤتمر.

رحم الله فيصلاً، الملك العربيَّ المسلم الذي آمن بربه، وبذل أقصى الجهد للدفاع عن دينه وأمته، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء كفاء جهده وجهاده.

الهوامـــش :

1- يوم 1384/6/27هـ = 1964/11/3م. انظر: زهدي الفاتح، الفيصلية منهاج حضارة ومدرسة بناء: 152-149، بيروت 1972م.
2- من خطاب الفيصل الذي افتتح به مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية المنعقد في جدة يوم 1390/1/16هـ – 1970/3/23م، المرجع السابق: 153-157.
3- في خطبته في الحفل الذي أقيم له في الرياض في 1964/11/21م، انظر: أمين سعيد، فيصل العظيم: 98-99، الطبعة الأولى 1385هـ، مطبعة كرم - بيروت. وانظر كذلك: صلاح الدين المنجد، فيصل بن عبدالعزيز: 108-109، دار الكتاب الجديد ببيروت 1972م.
4- خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز 835:3، الطبعة الأولى 1970م بيروت.
5- أمين سعيد 106-108.
6- زهدي الفاتح، 144-145.
7- المرجع السابق 141-142.
8- المرجع السابق 131-132.
9- المرجع السابق 132-134، وانظر كذلك: 90-95.
10- المرجع السابق 134-135.
11-المرجع السابق 155-156.
12- المرجع السابق 19.
13- المرجع السابق 49.
14- المصدر السابق 156.
15- كانت هذه الخطبة في مارس / آذار 1970م في جدة.
16- زهدي الفاتح 134-135.
17- صلاح الدين المنجد 32.
18- انظر: إبراهيم عبدالرحمن آل خميس، أسود آل سعود وتجربتي في الحياة: 65-67، دار النجاح ببيروت 1972م.
19- زهدي الفاتح: 45.
20- المرجع السابق 47-48.
21- المرجع السابق 56.
22- صلاح الدين المنجد 146-147 من خطابه في وفود الحج في 5 مارس/ آذار 1968.
23- زهدي الفاتح 56-57.
24- المرجع السابق 57.
25- المرجع السابق 77-80.
26- انظر: صلاح الدين المنجد 57-81.
27- زهدي الفاتح 131.
28- صلاح الدين المنجد 58 و 61.
29- زهدي الفاتح 24.
30- انظر: Islamic Studies, Vol XIV, No.2, PP. 167-168 Summer 1975

تعليق معالي الأستاذ الدكتور

محمد الحبيب بن الخوجة

تقديم رئيس الجلسة للمعلق

أصحاب السمو، أصحاب المعالي والفضيلة، أيها الحفل الكريم:

لديّ في هذه الجلسة معلقان سيتناول كل منهما التعليق على محاضرة الأستاذ الجليل الدكتور ناصر الدين الأسد وأرجو أن لا يطول التعليق أكثر من ربع ساعة لكل منهما. أما أولهما فهو الأستاذ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجه أمين عام مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وهو من مواليد تونس 1922م، ومؤهلاته دبلوم في القانون التونسي والإجازة العالمية من كلية الشريعة بالجامعة الزيتونية ودكتوراه في الآداب العربية من جامعة السوربون في باريس.

أما الخبرات الوظيفية فقد عمل مدرسًا بالجامعة الزيتونية، وأستاذًا مساعدًا فأستاذًا مشاركًا بالكلية الزيتونية، ثم عميدًا للكلية الزيتونية في الشريعة وأصول الدين، وأستاذًا للشريعة والدراسات القرآنية والحديث بالكلية الزيتونية، وشغل منصب مفتي الديار التونسية بين عامي (1976-1980م)، وهو عضو في عدد من الهيئات والمجالس الأكاديمية والعلمية واللجان ومجامع البحث في اللغة العربية. كما شارك في العديد من المؤتمرات العلمية والسياسية، يجيد اللغة الفرنسية وله العديد من المشاركات والمحاضرات واللقاءات والبحوث في الأدب والفكر الإسلامي. من مؤلفاته: تاريخ الأدب بتونس منذ عهد الأغالبة وحتى اليوم، شعراؤنا المعاصرون والشعر عبر العصور. ويسرني أن أدعو فضيلة الشيخ محمد الحبيب الخوجه لإلقاء التعليق.

نص التعليق

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلّى الله على حبيبنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

حضرات أصحاب السمو الملكي، أصحاب السماحة والمعالي والسعادة، حضرات الأساتذة، أيها السادة.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

إن أول ما يسترعي الانتباه في منهج الملك الشهيد اعتماده الدعوة الإسلامية لنشر المبادئ والقيم الدينية وتعريف العالمين، وبوجه خاص، الغافلين من المسلمين بجدواها وأثرها . واتخاذه إياه مضاداً قويا وفعالاً لتحرير الأمة وإنقاذ الملة من كل انحراف عن الخط الإسلامي. فقد ساءت أحوال العالم العربي والإسلامي في نظر الملك فيصل عند توليه حكم بلاده، ورأى الدول الإسلامية منقسمة على نفسها، يتوزعها تياران شرقي وغربي، وأحس بالنزاعات تقوم حول اليمن إثر انحسار الحكم البريطاني عن الجنوب العربي، وشاهد الإعداد إلى قيام مشاريع اتحادات إقليمية تزيد الشرق الأوسط تفككًا، مثل مشروع سورية الكبرى، والهلال الخصيب، وحلف بغداد، وأدرك ما عليه العالم العربي من تمزق من حوله بسبب ظهور الاتجاهات المختلفة المتعددة للقوميات الكبرى والمحلية، التي كانت تتجاذب قادته وشعوبه بوحي من السياسات الأجنبية، وتركيزها على ما بين دول المنطقة من مفارقات عنصرية وعرقية، وظهرت في أطراف البلاد مذاهب وفلسفات غريبة، حمل عليها الاحتكاك بالقوات الشرقية والغربية وموالاة العرب والمسلمين لها فكريًا؛ فدوّت كلمة الفيصل في خطبه وتصريحاته في العديد من المناسبات «نحن نريد الإسلام ولا نؤمن بشيوعية ولا ثورية ولا ندين بغير شريعة الإسلام»..

خذْ عنهُ إسلاميةً وضَّاءةً	ظلت كما ترك الرسول تُرتَّلُ
محفوظةً بالعلم صاف نبعُهُ	عن حكمة التطبيق لا تتحوَّلُ
نبتت به كالطود رغم مذاهب	مسمومة في كل بند معولُ
وأمام كل تمذهُب أبواقُهُ	ووراءَ كُلٍّ مضلّلين تَكَتُّلُ
فتنتْ عن الإسلام بعض شعوبه	حاشا الذي يحمي حماه الفيصلُ

ومن أجل تحقيق هذا المنهج المميز للعالم الإسلامي بدأ الملك فيصل - رحمه الله - أولاً برعاية رابطة العالم الإسلامي، التي أنشئت عام 1381هـ، قبل ولايته بثلاث سنين، فساعدها وأمدها بكل الدعم بوصفها أعظم جهاز إسلامي فعال يعمل بشتى الطرق على تنفيذ التضامن الإسلامي والاهتمام بشؤون المسلمين في جميع الأقطار، وهي التي جعلت هدفها الأساس أداء فريضة الله في تبليغ دعوة الإسلام ومجاهدة المؤامرات الخطيرة التي يريد أعداء الإسلام فتنة المسلمين بها عن دينهم وتمزيق وحدتهم وأخوّتهم، والنظر في القضايا الإسلامية بما يحقق مصالح المسلمين وآمالهم وحل مشكلاتهم، واستجاب جلالة الملك فيصل ثانياً لدعوة الرئيس الصومالي آدم عبدالله عثمان بمقديشو في الدورة الثالثة لمؤتمر العالم الإسلامي في أواخر سنة 1964م، وخلال مؤتمر العالم الإسلامي الذي عقد بمكة المكرمة عام 1965م لما أكد أن الوقت قد حان لعقد مؤتمر قمة إسلامية، فتبنى الملك فيصل رسمياً هذه الدعوة، وأعلن: إننا نؤيد الدعوة إلى عقد مؤتمر إسلامي ليكون في مقدور أعلى قمة إسلامية أن تبحث قضايا المسلمين وتقرر أمورهم. وقد كان من الضروري لإنجاح هذه الدعوة أن يمهد لها بالاتصال المباشر بعديد من ساسة الدول الإسلامية من ملوك ورؤساء في مختلف البلاد، لتدارس الأوضاع معهم وتوعية شعوبهم، وإذكاء الحمية فيهم وتحقيق التعاون معهم والتضامن بينهم. وهكذا بدأت زيارات الملك فيصل داعيًا للإسلام مبشراً بالأهداف الإسلامية، وشملت رحلاته وتنقلاته فيما بين شعبان سنة 1385هـ وربيع الثاني سنة 1390هـ على

مدى خمس سنوات دولاً وأقطاراً كثيرة، وكان من ثمار هذه الحركة البناءة الرائدة والمواقف البطولية الصادقة أثناء الدورة الأولى لاجتماع وزراء خارجية الدول الإسلامية بجدة في محرم عام 1390هـ أن شهد العالم ميلاد منظمة المؤتمر الإسلامي، التي كانت بداية انطلاق عمل مشترك منسق في شتى المجالات. أما قضية فلسطين التي كانت محور سياسة فيصل، فإن عهده واهتمامه بها يرجع إلى عام 1932 م، حين طالب الروس باسم الحكومة السعودية بتأييد الحق العربي في فلسطين. وكذلك يرجع إلى عشرات الرحلات، وإلى موقفه في عام 1939م بجانب الثورة الفلسطينية مساندًا ومؤيدًا، وإلى توصيته في أيار/مايو 1964م بوجوب تمثيل الكيان الفلسطيني بوساطة الانتخاب من طرف قادة ثورة التحرير وسائر المكافحين، من غير أن يكون في ذلك تدخل لأي جهة من الجهات، وكذلك توصيته لمؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية 1973م باعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني، وإلى تلك المؤتمرات التي حضرها من أجل القضية بلندن وجنيف وغيرهما. ولعل من أبرز ما كان يعلن عن وجهة نظره ويدل على اهتمامه بالقضية الفلسطينية، قيامه ببناء جيش مدرب يقدر على الدفاع ورد العدوان كما يقدر على استخدام أحدث المعدات ولا تنقصه أي من الكفايات. وقد حفّت بقضية فلسطين أوضاع البيئة العربية الداخلية من جهة والوضع الدولي العام والواقع الإقليمي المتردي الذي وقف الملك فيصل منه موقف الحذر والمعالج لرأب الصدع وتصحيح المسار من جهة أخرى، وشاهدنا ما طرأ في أطراف العالم الإسلامي بسبب تلك الدعوة المباركة من حيوية وانبعاث وصحوة وتجدد، وها نحن أُولاءِ بدأنا نشعر بوجود جامعة كبرى رائعة متميزة تكونت على مر القرون وتعاقب الأزمان وتلاحق الأجيال، فتح الفيصل أعيننا عليها ورعتها الدول الإسلامية وانعكست حقائقها وحاضرها وتصوراتها وآمالها على ما تنشط به مؤتمراتها ولقاءات ساستها ومفكريها، وتترجم عنهم مؤسساتها وهيئاتها في

كل مجالات الحياة الدينية والسياسية والاقتصادية والثقافية، وماهي آخذة به نفسها من أسباب مواكبة التطور وتحقيق التنمية وطلب التقدم. وأما الأخوّة العربية القائمة على وجود الجنس واللغة والتاريخ فهي واقع يعيشه كل العرب مهما اختلفت أوطانهم، ويدركه جميعهم حين يذكرون الأصل الواحد الذين يرجعون إليه، وتشدهم الجزيرة العربية التي يتجهون إليها بمشاعرهم وأشواقهم وآمالهم، ويجدونه حقًا ثابتًا وملازمًا لهم وهم يتكلمون لسانًا واحداً يرتبط به تاريخهم الفكري وأدبهم الواسع.

وارتكز المنهج السياسي لفيصل ـ ولإخوانه من بعده ـ على مبدأ الاعتماد على القوة الذاتية واستثمار الحصافة الدبلوماسية لنصرة قضايا الشعوب من منطلق إنساني أشمل من المنطلقات الأيديولوجية الضيقة والمصالح السياسية المتغيرة، وهو ما تكشف عنه أحداث وتصرفات رائعة ثابتة بعده، فقد نشطت الحركة الثورية بفلسطين وما جاورها من جديد، وكان لها من الدعم الديني والسياسي والاقتصادي والإعلامي ما حققته لها دعوة الفيصل العظيمة إلى التضامن الإسلامي والأخوة العربية، كما قدمت المملكة المساندة التامة للقضية الفلسطينية ولمنظمة التحرير من أجل مواصلة النضال واسترجاع الحقوق المغتصبة وتحرير البلاد. وحين وقع العدوان الثلاثي على مصر من إنجلترا وفرنسا وإسرائيل عام 1956م قطعت السعودية علاقاتها الدبلوماسية مع بريطانيا وأوقفت تصدير النفط إليها، وكانت بعد هذا حرب حزيران/ يونيو 1967م وهجوم إسرائيل الصاعق على مصر وسورية والأردن، فساءت الأوضاع من جديد وتعقدت، ووجب البحث عن المخارج والحلول؛ فكانت اللقاءات بين الساسة العرب والمسلمين، وانعقدت في البلاد مؤتمرات كثيرة، يتجاوز صداها المجالات المحلية الإقليمية، ويتعدى أثرها المجالات الواسعة الدولية. ومن أولى ثمرات مؤتمرات القمة العربية في تلك الآونة، وبخاصة مؤتمر الخرطوم، تبديد أجواء الخلاف والخصام التي سادت علاقات بعض الدول العربية، وإسقاط

أسلوب المهاترة الذي كان متعاملاً به بين الدول العربية بعضها مع بعض، وبين قادتها بعضهم مع بعض، وبلسمة ما خلفته الحروب الإقليمية والمخاصمات المحلية من جراح، ووقف الحملات العدائية، وتجاوز مظاهر التمحور، وإسقاط كل اعتبار من حساب المسؤولين والحاكمين، ماعدا اعتبار المصلحة العامة، وما تقتضيه الأهداف المشتركة، وما تتطلبه القضية المصيرية. وكانت المساندة والدعم لحركات الكفاح والقوات الجهادية، وزلزل فيصل الانهزاميين بعد النكسة بإعلانه عن موقفه الشجاع الذي بقي متمسكًا به إلى النهاية، والمتمثل في اللاءات الثلاثة المشهورة. وفي حرب رمضان التي كان فيصل من المباشرين والمخططين لها، أعلن دعمه للحركة دعمًا بلا حدود ماديًا وعسكريًا حتى تحقق العبور. ومن أعظم العون وأقوى الدعم وأعتى الأسلحة يومئذ، حَظْرُ البترول على أصدقاء إسرائيل لازدياد دعمهم لها وانحيازهم إليها. وما استعمال سلاح البترول هذا إلا استخدام لقوة اقتصادية تأتي مكملة للقوتين العسكرية والدبلوماسية.

أما السياسة الفيصلية تجاه العالمين العربي والإسلامي فأساسها التضامن والوحدة، وفي هذا يقول الملك الشهيد: «إذا دعونا نحن العرب للوحدة العربية فإن ذلك لا يتنافى مطلقًا مع الدعوة للوحدة الإسلامية، وفي اعتقادنا أن الدعوة للوحدة العربية والاتحاد العربي نواة لوحدة إسلامية كبرى تكون كل الشعوب الإسلامية مرتبطة بها، وإنما تقوم على أسس ثابتة مدروسة تراعى فيها مصلحة كل شعب، ويراعى فيها حق كل شعب». ويوضح علاقات السياسة السعودية بالدول الغربية، تصريح فيصل 1957م بأن علاقات المملكة مع دول الغرب تختلف باختلاف ما تقتضيه مصلحة المملكة وسلامتها وأمنها وما تقتضيه المصلحة العربية العامة.

أما علاقة السعودية بالمعسكر الاشتراكي فهي قائمة بينها وبين هذه الدول على أساس ميثاق هيئة الأمم المتحدة، وفي الوقت نفسه، فإن حكومة

المملكة العربية السعودية لا تسمح لأي مبدأ يختلف عن مبادئ الشريعة الإسلامية بالظهور في بلادها. ومما ينم على مواقف الملك الراحل في هذه السبيل خطابه في مؤتمر دول عدم الانحياز المنعقد بالقاهرة 1964م، الذي جاء فيه إعلان دعوته المتميزة الجريئة بقوله:

أولاً : إلى نزع السلاح نزعًا شاملاً تحت إشراف دولي فعال، وعدم استعمال الذرة إلا لأغراض سلمية ترمى إلى رفاه البشرية.

ثانياً: الدعوة إلى تصفية الاستعمار بجميع أشكاله نهائيًا في العالم.

ثالثاً: الدعوة إلى اتخاذ الإجراءات الفعالة الكفيلة بالقضاء على التفرقة العنصرية.

رابعًا : الدعوة إلى حل النزاعات الدولية بالطرق السلمية القائمة على الحق والعدالة.

خامساً: بذل الجهود لرفع المستوى الاقتصادي والاجتماعي لمختلف الشعوب.

وهذه الأصول والمبادئ التي ألح عليها الملك الراحل فيصل المعظم نجد صداها وأثرها في مختلف الهيئات واللقاءات السياسية والدولية التي كان يشارك فيها، وهي بالطبع الناطقة بالمنهج السعودي في حل القضايا المعقدة والنزاعات والخلافات بين الدول.

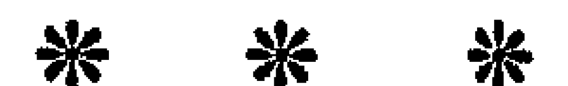
عرفونا أمة جمّعها ... فيصل الحق إذا الله أمرْ

وجدوها صخرة صامدةً ... من أغادير إلى شط قطر

هكذا كان فتاها وابنها ... وأباها وغناها المدَّخر

هكذا عدنا إلى أذهانهم ... أمة كبرى ثراءً وبشر

رحم الله فيصلاً، وأسكنه فراديس جنانه في مقعد صدق عند مليك مقتدر، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم.



تعليق سعادة الأستاذ

زين العابدين الركابي

نص التعليق

بسم الله الرحمن الرحيم

قضية ثرية، جد ثرية، والرجل غني المحامد، بيد أن الوقت شحيح، ومهما يكن من شأن، فإن خير الندى ما سحّ وابله نقداً. قد يظن بعض الناس أن الدين ينافي الوطنية، وأن الدعوة إلى الدين ليست من الوطنية في شيء، ولكني أرى أن الدين والوطنية أمران متلازمان، وأن الرجل الذي يتمكن الدين من فؤاده يحب وطنه حبًا صادقًا ويفديه بروحه وما تملك يداه، ولست فيما أقول معتمداً على أقوال السالفين الذين ربما اتهمهم أبناء العصر الحديث بالتعصب والجمود، ولكني أسترشد على صحة هذا المبدأ بكلمة لزعيم سياسي معاصر خدم بلاده ورفع شأنها، فقد قال الرجل العظيم بأعلى صوته: « لو نزعتم العقيدة من فؤادي لنزعتم معها حب الوطن». هذا موجز قضية كبرى في الفكر السياسي العربي الإسلامي المعاصر واجهت نهضة العرب والمسلمين في باكورة هذا القرن العشرين الميلادي، وصاحب الكلمات الآنفة، هو الزعيم الوطني المصري مصطفى كامل. والمقتضي لاتخاذ هؤلاء الكلمات مفتاحاً هو:

أولاً : إن الجمع السوي المتزن بين الإسلام ونهضة الوطن كان أمنية وكان أملاً يتطلع إلى تحقيقه ورؤيته الصفوة الصادقة المستنيرة من أبناء الأمة ورجالاتها.

ثانيًا: إن هذه الكلمات قيلت في تمام القرن التاسع عشر؛ أي عام 1900م بالتحديد والضبط. ولعل مستقبل إرسالنا هذا يبتدر سؤالاً ينبغي له أن يبتدره إعمالاً للبديهة وحرصاً على اجتلاء الرابط المنهجي.

السؤال البدهي: ما العلاقة بين كلمات مصطفى كامل والموضوع الذي يكتنفنا بمناخه ونباشره بحضورنا ومقولاتنا؟.

تتبدى العلاقة وتسفر في آصرتين قويتين؛ إحداهما موضوعية والأخرى زمنية، أما الآصرة الموضوعية فهي أن المشروع الذي تمناه مصطفى كامل وأقرانه ونظراؤه في ذلك الإبان نهض لتطبيقه أو نقله من أفق الأمل إلى دائرة التطبيق الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود على صعيد المجتمع والدولة، إذ كانت هذه البلاد بقيادته مسرح التنفيذ والفعل. ولقد تآخى المنهج ووعاء تطبيقه، أي الوطن، في نهضة الملك عبدالعزيز فظفرت الوطنية بمضمونه النفيس مصدراً ومحتوى، وتجافت من ثَمَّ عن أزمة الدويّ الفارغ والشعار اللامع بلا مضمون، وهذا هو جوهر الأزمة في معظم حركات الاستقلال في العالم الإسلامي التي استقلت ولم يكن لديها منهج لبناء الوطن من جديد. بهذا الخيار العلمي البسيط حُسم الإشكال المحرج الخطر، إشكال التدابر والتناكر بين الوطنية والإسلام، وإشكال الوطنية الفارغة من المضامين، وإشكال استفزاز الأرض من الإسلام. وبهذا الخيار غدت الوطنية ذات منهج واضح إلى درجة التألق، منهج العقيدة والشريعة والرصيد الصحي من كريم التراث وسوابق التاريخ والحضارة، وبهذا الخيار تمكن الإسلام في الأرض، أي في وطن أو إقليم مسيطر عليه حر السيادة والقيادة ينتظم جماعة بشرية ترتضي الإسلام وتصطف وراء القيادة وتعتز بالوطن اعتزازاً عاماً مثيلاً لاعتزاز سائر البشر بأوطانهم، واعتزاز خصوصٍ بحكم أن هذا الوطن نسيج وحده؛ إذ اجتباه الله جل ثناؤه يوم خلق السماوات والأرض ظرف مكان للبلد الحرام والبيت الحرام، ولا ينبئك مثل خبير. وليس يعزب عن وعي ذي وعي قيمة الأرض أو الوطن في التمكين للإسلام، فليس يطبق الإسلام في السماء فهو لأهل الأرض لا لأهل السماء، وليس يطبق في الفراغ بين السماء والأرض فهذا الفراغ ليس مقاماً للبشر ولا للتمكن في الأرض من المبادئ؛ وإنما الأرض - أي الوطن - هي المقام وهي مهاد التمكن ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ ذلك شأن الآصرة

الموضـوعيـة ورباطهـا الذي يربط بين أهل الصـفـوة العـربيـة ومـشـروع الملك عبدالعزيز. أما الآصـرة الزمنية فتمثلت في الوفـاق الزمني بين كلمـات الزعيم المصري ومبـتـدأ مسيرة الملك عبدالعزيز، صـرح مـصطفى كامل بكلماته عـام 1900م وفي العام الذي وليه 1901م سمّي الملك عبدالعزيز اللّهَ: وابتدأ مسيرته من الرياض، وهـو مبـتـدأ امـتـد خـبره في المكان امتـداداً انتظم أرجاء المملكة وتخـومـهـا من خـلال الوحدة، وامـتـد خبره في الزمـان امتداداً مطرداً إلى يوم الناس هذا من خلال المنهج وحملته ومنهـم الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله.

إن السيـاق يكون مبدوءاً بما يسلمه ويوهيه إذا قفز جملة واحدة فـوق مـا تقدم، وجاز ذلك أن الملك فيصل شجرة باسقة مثمرة في حقل خصيب الإرواء، أو طالب نجيب موفور المواهب في مدرسة الملك عبدالعزيز، فهو إنما يصدر، من ثم، عن نبع رائق المصدر والمجرى وافر الإرواء.

وإن تَفُقِ الأنام وأنت منهم   فإن المسك بعض دم الغزال

ومقياس العظمـة والريادة مركب من ثلاث شعب: مقياس ارتفاق الأصل واصطحـابه من دون انفكاك ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ . ومقياس الإضافة الجديدة في ضـوء الأصـل، والاتجاهات أربعـة في هـذا المقـام: اتجـاه إهمـال الأصـل والإعـراض عنه ﴿يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ فـهذه قصـةٌ مرّةُ المضمونِ خائبة التمثيل والإخراج شهد فصولها مسرح العالم الإسلامي آنفًا. ويفتأ يشهدها من خلال تجارب عديدة للحكم.

واتجاه الجمود ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ وهو مـثل مـضـروب لاتقـاء الجـمـود، وكم من حـافّين من باب الإسـلام جفلوا عنه فَرَقًا من التحجر وتثاقلوا عن الأخذ به خوفًا على مصالحهم من أن يسكت نبضـهـا الجمـود، اتجاه المباهاة المجردة والدعاوى المتجافية عن الفعل

المتلبسه بما ينقضها من الحال ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ . لا جرم أن كثيراً من ظواهر الريب والإلحاد مرده إلى علة التضاد بين النطق والفعل. اتجاه الإضافة والتجديد والإثراء ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ﴾ ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾. وهذه الإضافة مشروطة بالموهبة وإدراك ظروف العصر وموازينه وإرادة الفعل ومباشرته، وانتداب الذات لأداء مهمة جليلة في مواقيت يكثر فيها المشاؤون بظهورهم إلى الوراء إدباراً عن المسؤولية الكفائية في ساعة العسرة. والمقياس الثالث بعد مقياسي استصحاب الأصل والإضافة هو الامتداد بالأثر الصالح في المستقبل ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ وهو نَصٌّ مُفَسَّرٌ بحديث: «من سنّ في الإسلام سنةً حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده». في لمعة التأصيل الإسلامي هذه بمفهوم العبقرية والقيادة نبصر مكانة الملك فيصل، فقد استصحب الرجلُ الأصيلُ العروبةِ الراسخُ الإسلامِ الأصل وارتفقه وأفصح عن ذلك بقوله: «إذا أردنا أن نكون مسلمين حقًا لا قولاً، فلنرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله». هذه هي المرجعية الحقيقية لكل حاكم مسلم مخلص في تاريخ الإسلام. إذا أردنا أن نكون مسلمين حقًا لا قولاً فلنرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله. وتوقى الملك فيصل الجمود المقيِّد لطاقة العقل والإرادة واليد، ونحاه عن طريق النهضة بالفعل، وبكلمات مضيئة منها: هل الدين يمنع أن نكون مطلعين على كل شيء، قال: لا، إذن - والكلام له - كل من ينظر إلى الدين بأنه مانع للرقي هو ظالم لنفسه، معاند لما فرضه الله، ومنكر لكل النواميس السماوية، ومعاذ الله أن يعترض الإسلام سبيل التقدم والعلم، فهو دين التطور.

وعزز الفيصل استصحاب الأصل وإماطة الجمود بثالث هو الإضافة الحضارية الجديدة بالإصلاحات الداخلية، وبناء علاقات خارجية تجمع إلى ثبات المبدأ مرونة الحركة ثم امتد بأثره الصالح إلى المستقبل؛ فهو من ثَمَّ

بمقياس العظمة الإسلامي، رائد كبير من رواد النهضة والإصلاح، وفي السياق تقديم وتأخير متقبل ما دام الحكم صحيحاً سواء أجاءت الأدلة من قبل أو من بعد، والسماحة المنهجية تتسع لقولنا إن الآتي إنما هو بعض تفصيل لبعض ما أجمل، فإذا شئت، والمشيئة مرتبطة بفسحة من الوقت آمل أن تأذنوا لي بها إذا شئتم، رفد هذه النظرة بمزيد من الحجة، فإنا نازلون على هذه المشيئة الكريمة؛ وهو مزيد مفتاحُه سؤال واجب ناجز: هل للملك فيصل نهج؟ سؤال ينبغي أن يُطرح بقوة وأن يُطرح بوضوح وأن ويجاب عنه بعلم، أن ويجاب عنه بدراسة، المسألة ليست عاطفية، وهو ليس في حاجة إلى العواطف والأماني. هل للملك فيصل منهج؟ هل له نهج بالإعراب عن نزعتي التقطير والتبذير؟ يمكن الجواب باطمئنان علمي وسياسي بأن نعم، وخلاصة الجواب أن مفهوم النهج الفيصلي هو الاجتهاد الاجتماعي المتميز ذو اللمسة الخاصة على الصعيدين الداخلي والخارجي في إطار المنهج الأصلي وهو الإسلام، وليس ينضج التعريف النظري للنهج حتى يبرهن عليه في مثل هذا المجال بوقائع وقضايا كانت موضع ممارسته ومختبر تطبيقه، وسنذكر جملة من هذه الوقائع والقضايا، ثم نقفي عليها بالنهج الفيصلي الذي بصر بها وعالجها.

أولاً: القضايا والوقائع: قضية التيارات الدولية، فقد اكتنف أداء الملك فيصل ظرف عالمي مشحون بالتدافع الدولي المكهرب مثال ذلك الصراع (الأيديولوجي) الحاد بين الشيوعية والرأسمالية والصعود المتتابع لنفوذ الاتحاد السوفييتي، وحدَّة الاستقطاب والتنافس الدولي على مناطق النفوذ في العالم، والتكافؤ النسبي في موازين القوى وردود الفعل المتوترة النزقة في العالم الثالث.

القضية الثانية: قضية الصراع العربي الثقيل الضغط، الواسع الانتشار، وهو ذو موضوعات وأدوات، ومن موضوعاته الاقتصاد: اشتراكي أم حر؟ وطبيعة النظم السياسية أيها أنفع: المحافظة التي تبني وتنمو في هدوء أم

الثورية التي تنزع إلى التغيير بالعنف وبالحرب الساخنة وانتشار المد القومي بمفهومه المشاق للإسلام. أما الأدوات فهي التخريب السياسي، تخصصت أنظمة عربية معروفة في التخريب السياسي في المنطقة العربية ولايزال العرب يعانون من آثار التخريب.

أدوات تخريب السياسة: وقد سجلت دراسة معمقة ومستفيضة عن الصراع العربي، أن أداة التخريب السياسي سجلت 20٪ من مجمل عوامل الصراع، والدعاية السوداء والحرب الباردة بلغت 49٪ من مجمل أدوات الصراع.

القضية الثالثة: قضية فقدان العالم الإسلامي أية صيغةٍ دولية بإطلاق، أي صيغة دولية مرتضاة تضاف للتفاهم النسبي بين الدول الإسلامية. فكيف عالج الملك فيصل بمنهجه هذه القضايا، هنا تأتلق خصائص منهجه، ومنها الوعي السديد لظروف العصر وما يمور فيه موراً من العلائق والأحداث والمواقف المتدافعة، ولقد مثل هذا الوعي في الاستفادة الذكية من فرص تتيح التنفس السياسي العميق من خلال انهماك القوى المتصارعة في التربص والتناطح، كما مثل هذا الوعي في التأبي على الضغوط، وفي البناء في هدوء والاحتفاظ بسكينة العقل والنفس، والقيام في ذروة الغليان الدولي، ونلمح هاهنا خاصية أخرى تندغم في التي معنا، وهي الهدوء الفاعل أمام موجات الفوران والغليان والهيجان، ومن هذه الخصائص تطبيق نظرية الإغراق في محيط أعظم، وهذه نظرية مارسها الملك فيصل وتحتاج إلى دراسات موسعة وإلى مؤلفات وإلى ندوات، تطبيق نظرية الإغراق في محيط أعظم، لقد أغرق الملك فيصل التيار القومي المحدود الرؤية، المُعرض عن المنهج الذي كان به العرب عرباً صالحين أقوياء، نبلاء مبدعين، أغرق هذا التيار في محيط أعظم، هو الانتماء الإسلامي الأعم، ومن تدابير الإفراط والدحض اجتلاء المفاهيم الصحيحة للعروبة التي هي وعاء الإسلام لساناً، والأمينة عليه بلاغة، والمرفوع به

ذكرها في العالمين ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾.

والحتمية الحاسمة في المقام أن المملكة العربية السعودية لا يُزايَد عليها في العروبة، فهي موئل العروبة دارًا ونسبًا، والعربية هي المفرد الوسيط من مفردات اسمها الذي اصطفى في العقد الرابع من هذا القرن الميلادي، أي قبل التباهي الكذوب بالقومية العربية بمفهومها الهجين.

الخاصية الثالثة: تطبيق نظرية رفع الدون المرتاب بالأعلى اليقيني، هذه - كذلك - نظرية مارسها الملك فيصل تحتاج إلى دراسات موسعة، فقد دفع الملك فيصل الموجات الإلحادية التي علت بقوة الأحزاب والحركات الشيوعية في المنطقة العربية، دفعها بعقائد الإسلام ويقينياته، فهذه مهمة لايقدر على حملها - ولاسيما على مرتبة الدولة وفي زمن كان الإلحاد فيه رمزًا للتقدم - لايقدر عليها إلا رجل مؤمن، مؤمن لا يستخفه طيش الإلحاد مهما لَغَا في القرآن والإسلام ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ ﴾.

الخاصية الرابعة: إيجاد صيغة إسلامية دولية تصلح للتفاهم والتعاون بين الدول الإسلامية. وهذه الصيغة تتطلب حسابًا، لأنها صيغة شائكة ودقيقة وكثيرة الحرج، هذه الصيغة تتطلب حسابًا استراتيجيًا وسياسيًا حصيفًا بحيث تكون صيغة لا يخشاها ذو سلطان على سلطانه من المسلمين، ولا تثير في وقت مبكر على الأقل، حفائز القوى الدولية المعادية أو المتفاهمة أو المحايدة. إن جمع المسلمين تحت قيادة مركزية واحدة أمر متعذر في هذا العصر، ومن مقاصد الإسلام رفع الحرج عن الأمة في هذه وغيرها، هذا معضل، والمعضل الآخر، هو إبقاء المسلمين في حالة تفتت كاملة، والحل الواقعي الذي يجنّب المسلمين المعضلين هو صيغة التضامن الإسلامي التي صدع بها الملك فيصل مدًا لصوت الملك عبدالعزيز، ولايزال يصدع بها حتى خرجت في صورة قمة الدول الإسلامية، ومؤتمر وزراء خارجيتها، ثم في صيغة المؤسسات المنبثقة من هذا

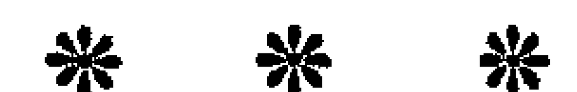
الكيان الدولي. حصحص الحق، وعرفنا أن للملك فيصل نهجًا، تلك زمرة من خصائصه، أو منظومة من معالمه. وحصحص الحق أن نعلم بالاقتضاء أن هذا الرجل الكبير بإخوانه، فملوك آل سعود قد تتنوع اجتهاداتهم، كما تتنوع الثمار تُسقى بماء واحد، بيد أن الحقيقة التاريخية والسياسية تقول: إن كل إنجاز عظيم إنما يعبر عن الإرادة الجماعية والمسؤولية التضامنية، وهذا نهج إذ يدل على وحدة المصدر المنهجي، فإنه يدل في الوقت ذاته على سعة مساحة الاجتهاد، وهي سعة تقتضيها مسؤولية الملك وصلاحياته، فبقدر دائرة المسؤولية يكون رواق الاجتهاد. لقد كان إخوان الملك فيصل السند الأول له بعد الله، وهو يبني بمهارة ويكافح موجات الشر والفتنة والعدوان بعنفوان وصرامة، ويرد عن الحمى رد الغيور يد الجاني عن الحُرم. وإذا ثبت أن الملك عبدالعزيز - وهو أحد عباقرة العرب الكبار - كان يستعين بأبنائه لصناعة النهضة الكبرى، فمن البداهة أن يكون أبناؤه عونًا لأخيهم الفيصل. والرجل بشعبه ولأمته، إنه يصعب على الزعيم، أي زعيم أن ينهض من دون ثقة شعبه، ونصرة أمته، فالعلاقة بين الرائد وأمته، كالعلاقة بين القلب والشرايين، أخذ وعطاء، وتعاون منتظم يوفر العافية، ويستديم الحركة والعمل.

نعم، إن للمواهب الرفيعة أثرها القوي في خطى القيادة، لكن الأمة هي - بلا ريب - المصدر العرفي والظرفي لهذه المواهب، وإنها هي مستقبل هذه المواهب، والمنشط لها، والمتفاعل معها، والذي يعرف قدرها، فيحمده. والرجل بموقعه الجغرافي، فلهذا الموقع حظ جزيل في بناء الخصائص القيادية، وكلما كان الموقع مفعمًا بالمعاني الكبار سما التفكير، وعظمت الهمة، ونبل الفعل. ففي أي موقع جغرافي نشأ الملك فيصل وتكون فكره وباشر مسؤولياته؟ في البلد الذي حَرَّمَ الله أقدسَ بقعة فيه يوم خلق السموات والأرض. في البلد الذي تَنَزَّلَ الوحي في ساحه، وابتُعث النبي في أحد بيوتاته، في البلد الذي كان ثراه منبتًا وممشًى ومقامًا لفحول العرب الأقدمين ولسادات العرب في الإسلام، في البلد

الذي يستدير كل مسلم أنى كان وحيث كان ليستقبل القبلة فيه استقباله فرضاً، لا تصح الصلاة إلا به ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ البلد المحرم إغلاقه، المفتوح بالنص عالميا للأجناس كافة ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾. البلد الذي شهد الدعوة الأولى إلى العالمية، بلاغًا دينيًا للناس جميعًا ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾، وحفزًا إلى التعارف بين شعوب الأرض كلها ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾. وإذا كان التاريخ جغرافيا في حالة حركة، فإن الجغرافيا تاريخ ثابت ومناخ مقيم موصول الأنفاس، ووعاء مكاني للمقدسات والمبادئ والذكريات، والأمة والقيادةُ يرفع منها الرأس بالانتماء إليه، ومهما تعددت مصادر الخصائص القيادية للملك فيصل، فإن مصدر الموقع الجغرافي من أعظمها وأغناها. ومن العظمة أن يعرف العظيم للمعظم مكانته وقدسيته، وقد كان الملك فيصل عليمًا بعظمة المكان، بصيراً بجلاله ومهابته، متأثرًا بذلك كله في مواقفه وعلاقاته. أتبتغون برهانًا على ذلك؟ هذا هو البرهان من قوله، إذ قال: «لا نستطيع في أي حال أن ننسى ما لهذه البلاد من صبغة إسلامية قدسية لوضعها الجغرافي ووجود مقدسات المسلمين فيها، فنحن نقدس الإسلام قبل كل شيء، ونحن نقدس الإسلام ومقدساته قبل كل شيء». وتمام الكلم بداية قراءة في صفحة واحدة من كتاب أثره الممتد من بعده.

إن اجتماعنا هذا في ليلتنا هذه احتفاء بكمال عشرين عامًا من عمر مؤسسة الملك فيصل الخيرية، وهذه المؤسسة وجائزتها العالمية ذات السمعة الحسنة في العالمين أثر من آثار الملك فيصل، أثر من آثاره لأنها تكريم مطرد لفعل جليل نافع قدمه لإسلامه ووطنه وأمته وعالمه الإنساني، وأثر من آثاره لأن القائمين عليها هم بنوه الذين يوفون بالعهد ولا ينقضون الميثاق، والولد الوفي

الصالح من أعظم الآثار التي تبقى بعد رحيل المرء عن هذه الدنيا كما نبأنا بذلك خير النبيين محمد ﷺ. رحم الله فيصلاً بما يرحم به عباده الصالحين، وكتب له سعيه في صحائفه إنجازاً لوعده الذي لا يخلف ولا يتخلف ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



أسئلة الحضور

رئيس الجلسة :

شكراً للأستاذ زين العابدين الركابي

لا شك أن موضوع «النهج الفيصلي في معالجة القضايا الإسلامية» موضوع كبير وواسع.

لدي مجموعة من الطلبات تريد الإضافة، وتريد التعميق، وتريد دراسة نواح معينة في هذه السياسة. الأمر الذي لا نستطيع ـ مهما قضينا من الوقت ـ أن نفيه حقه، فما هي إلا ملامح، وماهي إلا وقفات قصار. وقد تفضل الأستاذ المحاضر كما تفضل الأستاذان المعلقان بأن الموضوع يحتاج إلى دراسات واسعة، وإلى نظرات أشمل من هذا. حسبنا هذه الليلة أن نكون قد وقفنا على الأعلام الرئيسة في موضوع هذه المحاضرة. أترك الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد ليجيب عن الاستفسار، قبل إتاحة الفرصة للأستاذ حقار محمد أحمد.

د. ناصر الدين الأسد :

هذه ثلاثة أسئلة أو ثلاث ملاحظات أحيلت إليّ:

الأول: هل يمكن إلقاء الضوء باختصار على دور الفيصل في حرب 1973م وموقفه قبل بدء الحرب وأثناءها وبعدها؟

البحث العلمي هو التزام العنوان، والعنوان الذي كُلِّفْت أن أكتب فيه هو «النهج الفيصلي في معالجة القضايا الإسلامية». النهج وليس التاريخ المفصل مع الحوادث والوقائع وضرب الأمثلة الكافية لهذا التاريخ. وقد اقتصرت على تحليل هذا النهج في صورة ركائز أو معالم أو ملامح. هذا التحليل اعتبر مقدمة، رتبت عليها نتائج، فكل ما ذكرته ملتزم هذا العنوان، وأنا لا أسمح لنفسي بأن أخرج عن العنوان ولا عليه. ومع ذلك فقد جاء جواب عن بعض هذا السؤال من زميل آخر في هذه المقالة. أذكر أن الملك فيصل ـ يرحمه الله ـ

أرسل الجيش السعودي للاشتراك مع الجيش السوري عام 1973م، فدخلت الوحدات السعودية التصادم مع العدو الإسرائيلي. هذا مثل، وهو إجابة عن دور الفيصل في حرب 1973م. ولكن الحقيقة أن الجيوش السعودية بأمر من الفيصل كانت موجودة في عدد من البلاد العربية، ولم تكن المصلحة حينئذ ـ وربما لم تكن المصلحة بعد ذلك ـ أن يعلن عنها. وأنا أحب أن أذكر الإخوان أن كتائب من الجيش السعودي كانت مرابطة في الأردن، وأن مساعدات مالية وأسلحة أُرسلت إلى بعض البلاد العربية التي خاضت المعارك. ولكن هذا الموضوع لا يتصل بالنهج الفيصلي في معالجة القضايا، ونحن تعودنا أن نلتزم العنوان، فأرجو المعذرة، إذا لم أستطع الخوض في هذا، وأشكر الذي ذكرنا لأنه ساعدني على الإجابة عن السؤال الأول.

الورقة الثالثة فيها أنني ذكرت أن كتابًا يجمع بين دفتيه تفصيلاً واضحًا عن المنهج الفيصلي، والسؤال، ما اسم هذا الكتاب، وأنا مع ضعف ذاكرتي، لا أذكر أنني قلت ذلك. لم أقل إن كتاباً واحداً يجمع تفصيلات واضحة عن المنهج الفيصلي، وإن ما ذكرته مستخلص من عدد من الكتب وعدد من المقالات والمصادر والمراجع مذكورة في الدراسة المفصلة المطبوعة، وهي بين أيدي الراغبين الذين يمكنهم الحصول عليها من المركز أو من أي ذراع من أذرع المؤسسة ويمكن الرجوع إليها؛ أما أن كتابًا واحدًا فيه تفصيلات وافية كما هو مذكور هنا وواضحة عن المنهج الفيصلي فأنا لا أعرف هذا الكتاب.

د. الحبيب بن الخوجة :

يقول السائل: كان بودي أن يقع تناول ما قدمه الفيصل العظيم من إقامة مؤسسات كثيرة أسهمت في بناء الأمة الإسلامية، فعلى مستوى الجمعيات الإسلامية، قامت الرابطة، وعلى مستوى المنظمات الطلابية، قامت الندوة العالمية للشباب الإسلامي، وعلى مستوى العمل السياسي قامت منظمة المؤتمر

الإسلامي، وعلى مستوى العمل الاقتصادي قام البنك الإسلامي، هذه أمثلة، لا بد من الحديث عنها، لكن ليس في هذه الجلسة، لأن هناك جلسة أخرى كانت تمثل موضوعاتها الورقة الأولى التي اقترحت على المشاركين، وهي التي تتعلق بسيرة الملك الصالح فيصل وما قام به من جهود في شتى الميادين، فالحديث عن تربيته وعن نشأته وعن الوظائف المختلفة التي قام بها، وما أنشأه أو دعا إلى إقامته، كل ذلك موجود، أو ينبغي أن يُبحث في الموضوع الذي ليس هو متعلقًا بالورقة المعروضة عليكم هذه الليلة، على أن قضية البنك الإسلامي التي وقعت الإشارة إليها هنا، قد جاءت في حديثي، وإن لم أتعرض لذلك، لأنه عندما فكّر الملك الشهيد في دعم البلاد التي تحيط بفلسطين، وهي تحتاج إلى دعم، وتحتاج إلى تعويض ما فقدته من طاقات إثر الهجومات المتعددة عليها من طرف الإسرائيليين والفرنسيين والإنجليز مرة، وفي حرب رمضان مرة ثانية، هذه الأوضاع جعلته يدعو إلى البنك الإسلامي من جهة، وهيئات أخرى ذكروا منها اثنتين، طلب منها أن تقدم ما يمكنها من دعم لدول المواجهة، فقضية الحديث عن البنك الإسلامي موجودة في الورقة التي قدمناها، ولكن الوقت لا يتسع لعرض كل ما يمكن أن يقال في هذه الجلسة.

* * *

كلمة الأستاذ حقار محمد أحمد

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء، وزير الدفاع والطيران المفتش العام

أصحاب السمو الملكي الأمراء

أصحاب المعالي الوزراء

أصحاب الفضيلة والسعادة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز

عندما وصل أخوكم الملك فيصل إلى مدينة (أنجامينا) ـ عاصمة تشاد ـ، استُقبِل استقبالاً يليق به كزعيم إسلامي عظيم. ولما نظر جلالته ـ رحمه الله ـ إلى حالة الإسلام والمسلمين، عرف أن المسلمين في تشاد في حاجة ماسة إلى العلم. فبشر المسلمين ببناء مركز إسلامي كبير وبناه بالفعل، وهذا المركز يتكون من :

1 ـ مسجد يتسع لِمَا يقرب من 35 ألف مصلٍّ.

2 ـ ابتدائية الملك فيصل.

3 ـ متوسطة الملك فيصل.

4 ـ ثانوية الملك فيصل.

5 ـ المعهد العلمي للملك فيصل.

6 ـ معهد القراءات للملك فيصل.

7 ـ مستوصف الملك فيصل.

8 ـ مكتبة الملك فيصل.

9 ـ قاعة الملك فيصل.

10 ـ مكاتب للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

وامتداداً لمركز فيصل، قامت جامعة الملك فيصل للدراسات الإسلامية والعربية، وبها كليتا اللغة العربية والتربية.

وبهذا أصبح المركز هو العمود الفقري والمولّد المحرك للغة العربية والثقافة الإسلامية في تشاد.

وجاء دور مؤسسة الملك فيصل الخيرية. هذا الصرح الإسلامي الكبير الذي يخدم الإسلام والمسلمين في كل أرجاء الدنيا. وتولت بناء كلية اللغة العربية، وبهذا أكمل الأبناء الجهود التي بدأها الآباء.

كما أن مركز الملك فيصل بتشاد قد وجد العناية والرعاية الكاملة من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود ـ حفظه الله ورعاه ـ الذي أمر بترميم المركز وصيانته. وقد بدأت أعمال الترميم والصيانة ووصلت إلى النصف.

رحم الله جلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز

وتحية إجلال وتقدير لأشقائه وأبنائه الأوفياء

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

النهج الفيصلي
في معالجة القضايا الإسلامية(*)



الاثنين ٢٦/ ١٢/ ١٤١٦هـ الموافق ١٣/ ٥/ ١٩٩٦م

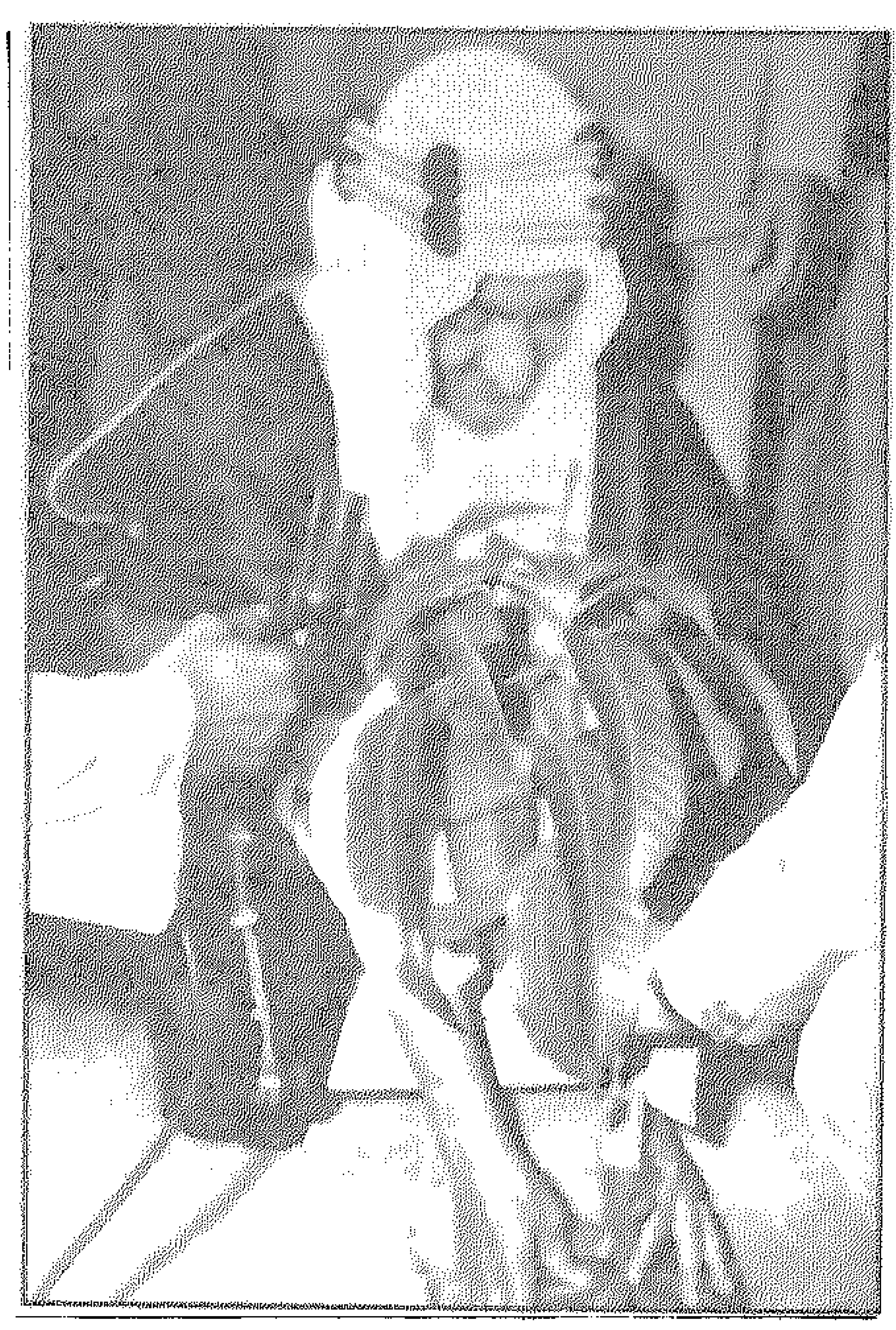
(*) هذا ملحق يضم صوراً عُرضت في المعرض الأول للصور الفوتوغرافية، المصاحب لمحاضرة «النهج الفيصلي في معالجة القضايا الإسلامية»

«الفيصل» يغرس بيديه شجرة رمزًا للأخوة الإسلامية والصداقة مع باكستان.

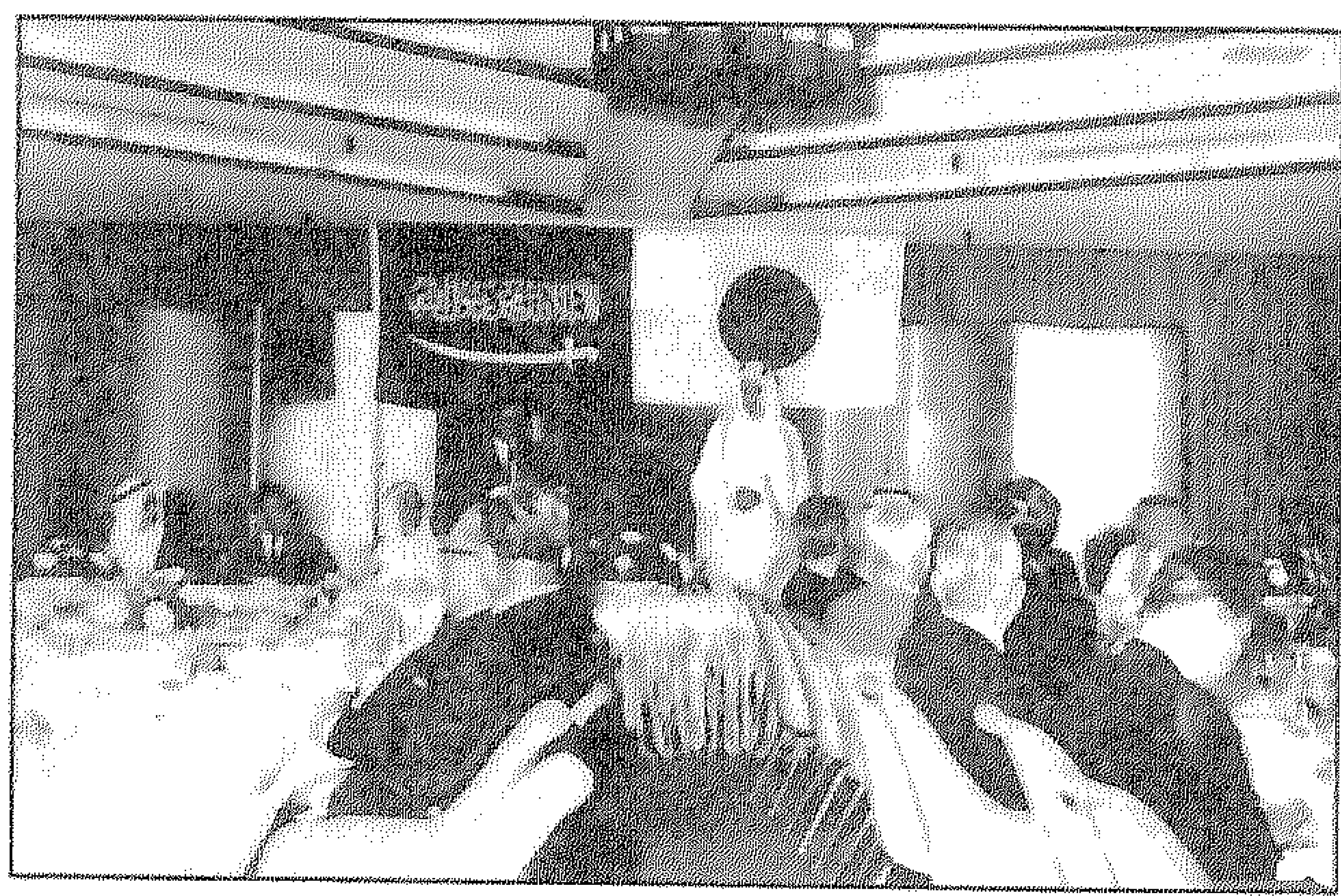
١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م

ـ من أقوال الفيصل:

[إن المشاعر والروابط التي تنبثق عن عقيدة خالصة لا تشوبها المصالح ولا الأهداف الملتوية هي التي تصلح أن تكون أساسًا ثابتًا وأمينًا لما يربط الشعوب والحكومات].



157



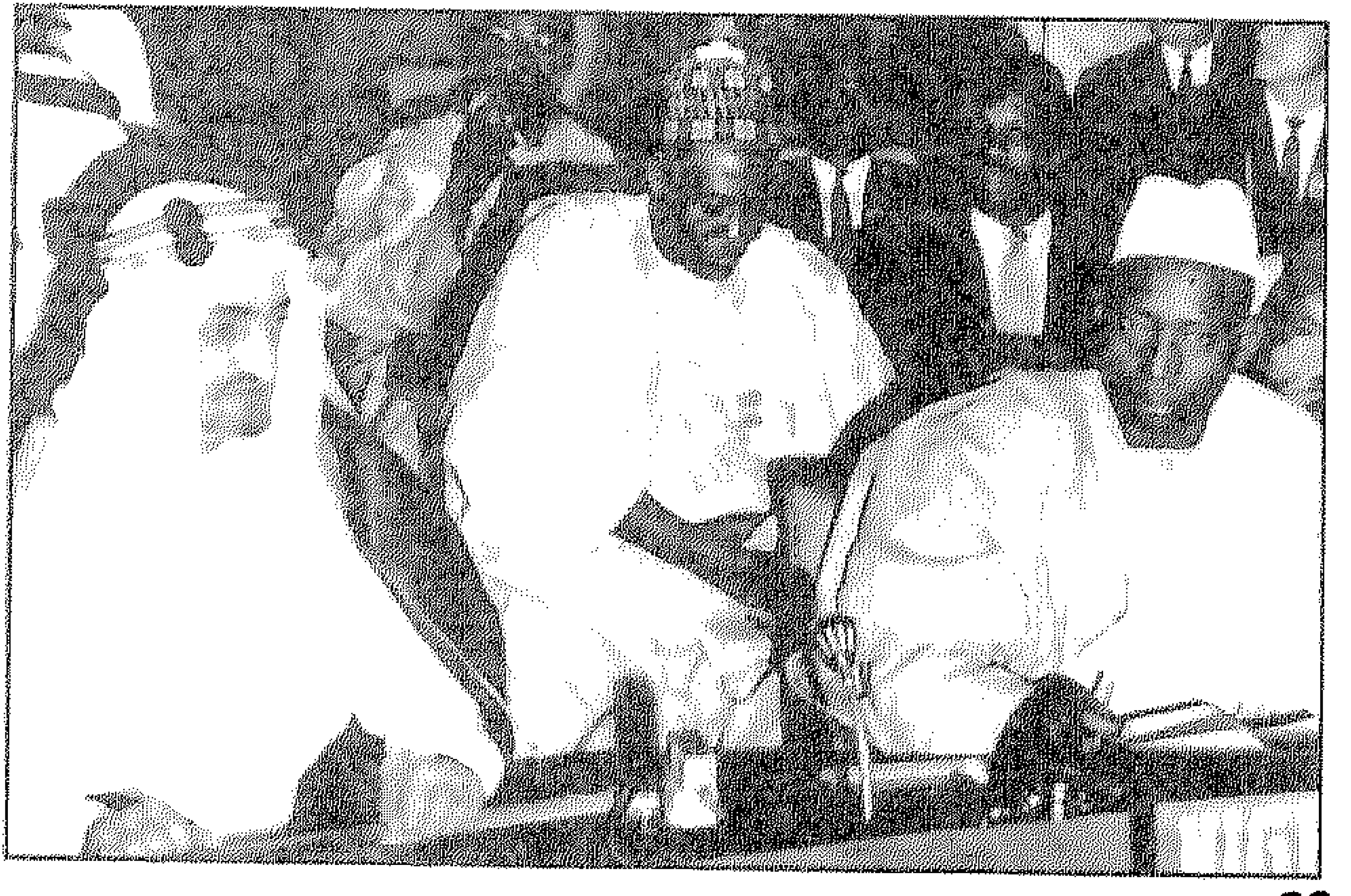
126

«الفيصل» يلقي كلمة في الحفل الترحيبي الذي أقامته على شرفه جمعية الصداقة السعودية ـ اليابانية، وذلك خلال زيارته الرسمية لليابان.

١٣٩١هـ / ١٩٧١م

ـ من أقوال الفيصل:

[في إمكان جميع البشرية في العالم أن تتخذ من التشريع الإسلامي أسسًا تبنى عليها حضارتها].



63

«الفيصل» في مؤتمر عدم الانحياز في القاهرة.

١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م

ـ من أقوال الفيصل:

[لقد كان للمملكة العربية السعودية.. شرف المشاركة في وضع المبادئ لمفهوم عدم الانحياز إيمانًا منها بأن هذه المبادئ تتمشى مع سياستها المنبثقة عن دينها وتقاليدها].



«الفيصل» في إحدى زياراته للولايات المتحدة الأمريكية يرافقه أخوه الملك خالد بن عبدالعزيز.
١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م
«وهذه كانت رحلته الأولى لأمريكا نائبا عن والده تلبية لدعوة رئيسها فرانكلين روزفلت»

118



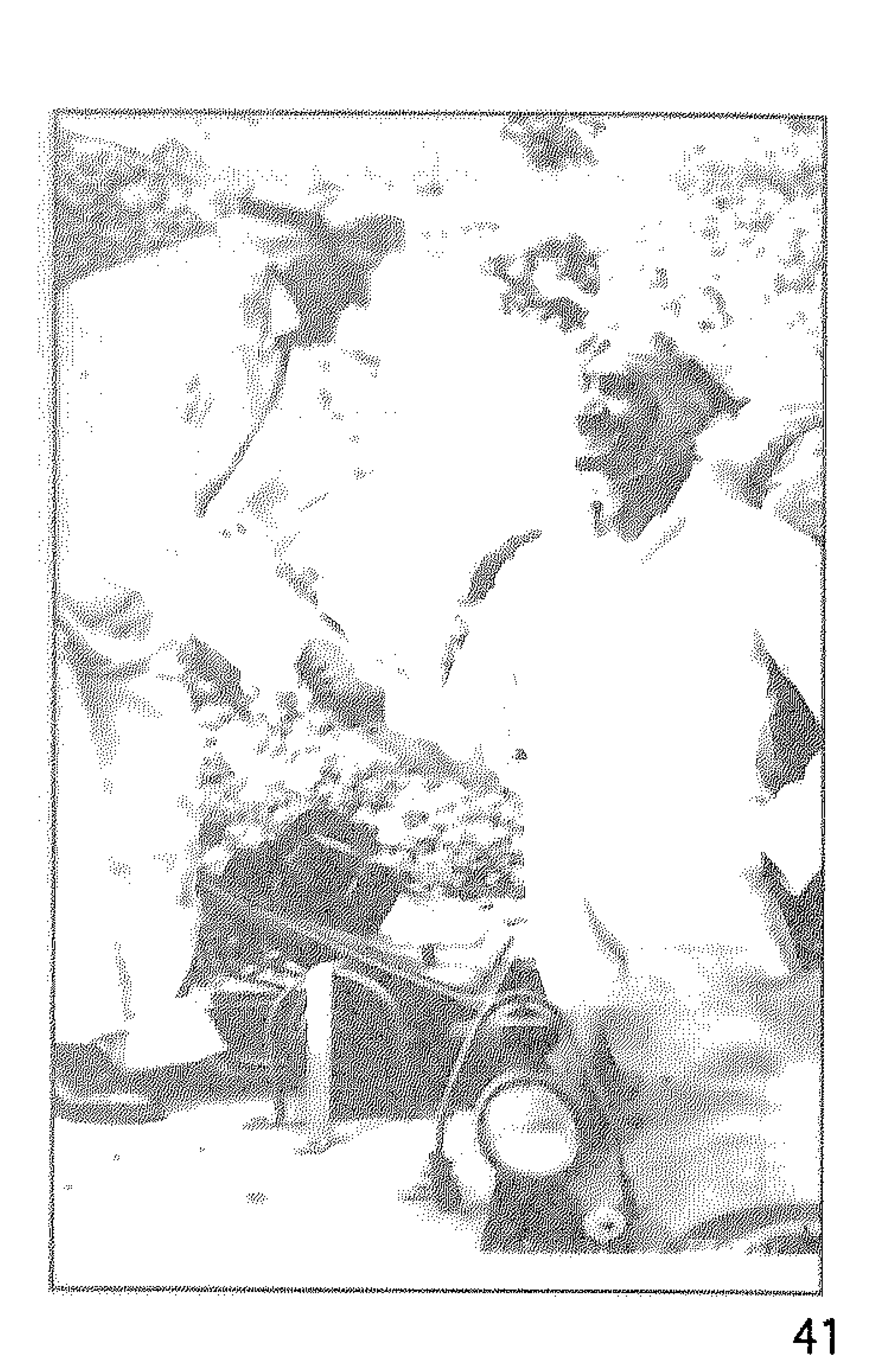
«الفيصل» مع الرئيس الباكستاني محمد أيوب خان

172



الفيصل» مع رئيس وزراء ماليزيا تنكو عبدالرحمن على هامش مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامي بجدة

214



41

«الفيصل» في الولايات المتحدة الأمريكية في إحدى الطائرات ـ مرتديا الملابس العسكرية ـ متفقداً.
﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾.



79

«الفيصل» حاجاً.



51

«الفيصل» خلال إحدى جولاته أثناء زيارته لباكستان وتشريفه للمهرجانات الشعبية المحتفية به.
١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م



183

«الفيصل» مدافعًا عن قضية فلسطين وضد قرار التقسيم في هيئة الأمم المتحدة.

١٣٦٧هـ / ١٩٤٧م

ـ من أقوال الفيصل:

[قرار اليوم ـ قرار التقسيم ـ هدم للميثاق وجميع المواثيق.. لهذه الأسباب فإن حكومة المملكة العربية السعودية في هذا الموقف التاريخي تسجل أنها لا ترتبط بهذا القرار.. وتحتفظ لنفسها بالحرية التامة فيما تراه متفقا مع مبادئ العدل والحق].





48

«الفيصل» في بريطانيا في أول زيارة له خارج المملكة.

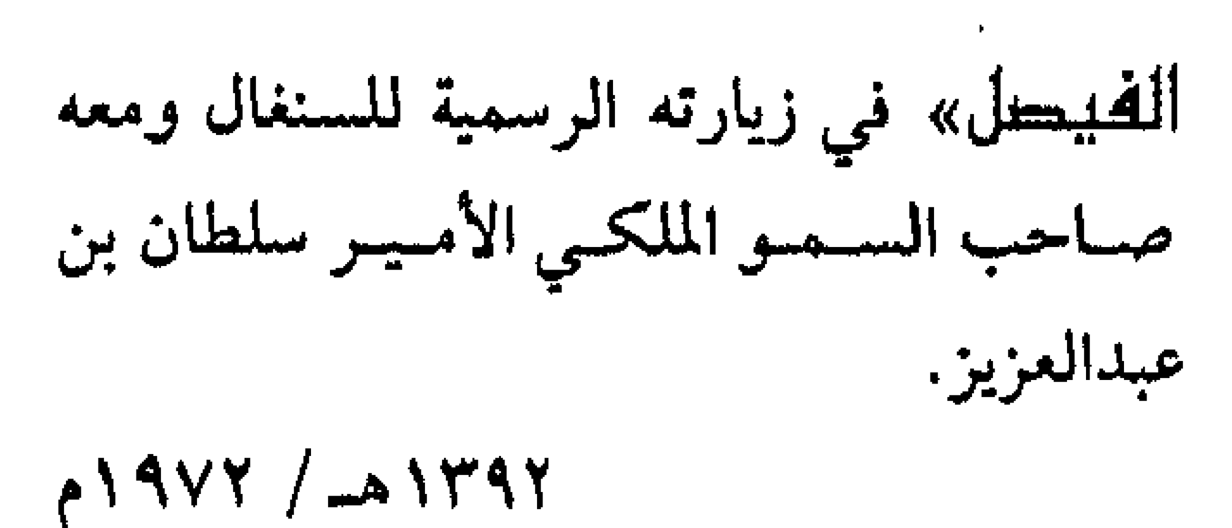
١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م

أثار الجميع بذكائه ونبوغه وقلده الملك جورج وسامًا رفيعًا.

وكانت سنّه ثلاث عشرة سنة، كما ذكر هو في إحدى زياراته التالية لبريطانيا، حيث ذكر المترجم إن عمره في الزيارة الأولى له كان خمس عشرة سنة فصححها له الفيصل.



180



الفيصل» في زيارته الرسمية للسنغال ومعه صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز.

١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م



«الفيصل» خلال زيارته للاتحاد السوفييتي.
١٣٥١هـ / ١٩٣٢م
وقد التقى زعماء الاتحاد السوفييتي ستالين ومولوتوف.

184

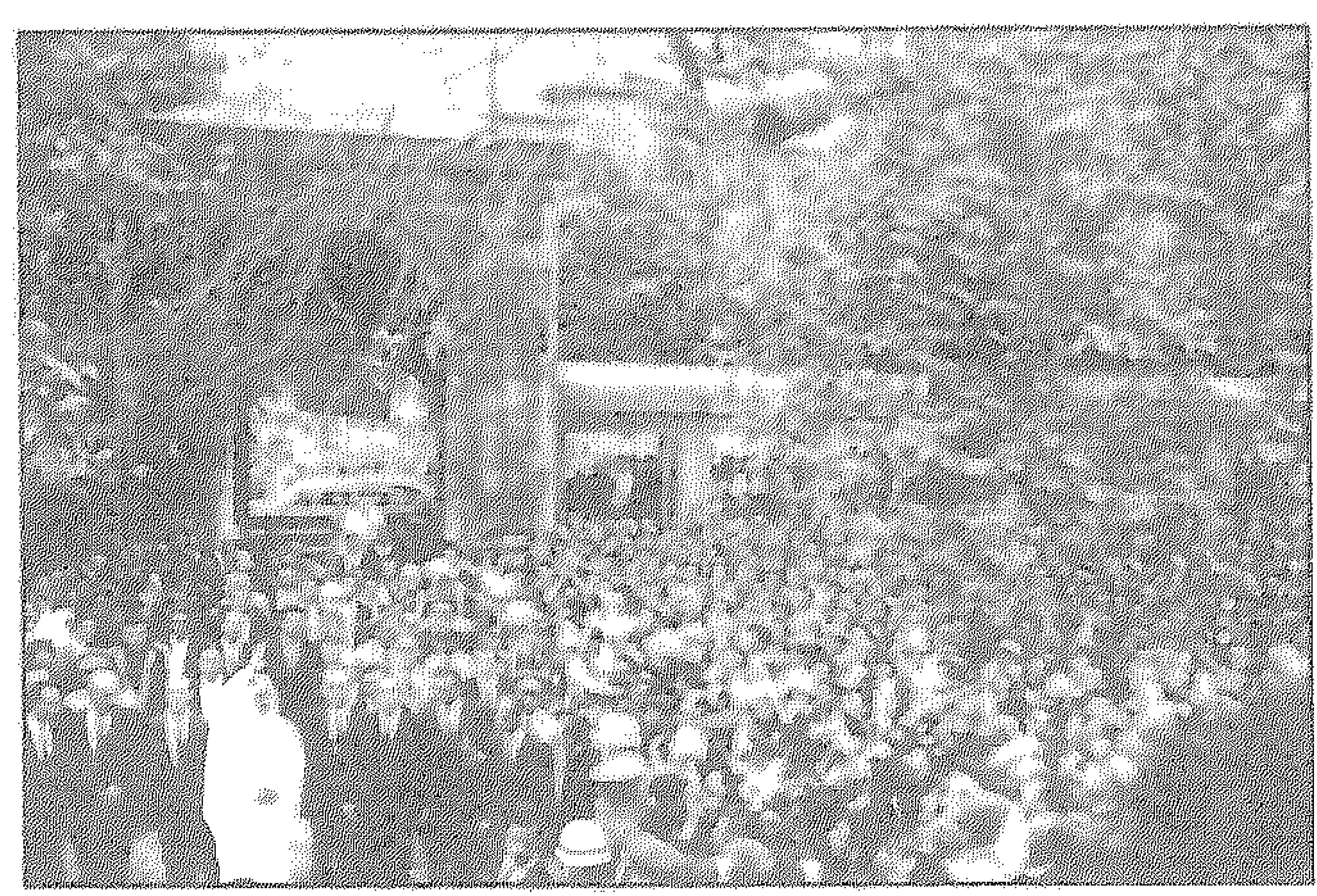
«الفيصل» مع الرئيس التركي جودت صوناي.
١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م
انطلاقة جديدة للعلاقات العربية والإسلامية مع تركيا.
ـ من أقوال الفيصل:
[إننا جميعًا نستمد قوتنا وإرادتنا من أساس لا ينضب معينه وهو أساس الدين الإسلامي الذي هو دين السلام ودين المحبة والعدالة والرقي ودين التقدم].

159



«الفيصل» في أحد لقاءاته مع بعض زعماء العالم الإسلامي دعوة للتضامن الإسلامي ودعمًا له.
ـ من أقوال الفيصل:
[إن الدعوة إلى تآخي المسلمين وتقاربهم وتعاونهم ليست ملكا لي وحدي بل هي فريضة على كل مسلم ومسلمة].

179



«الفيصل» ترحب به الجماهير خلال زيارته لأحد المتاحف التركية أثناء زيارته الرسمية لتركيا.

١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م

90



«الفيصل» مع إمبراطور اليابان هيرو هيتو أثناء زيارته الرسمية لها.

١٣٩١هـ/ ١٩٧١م

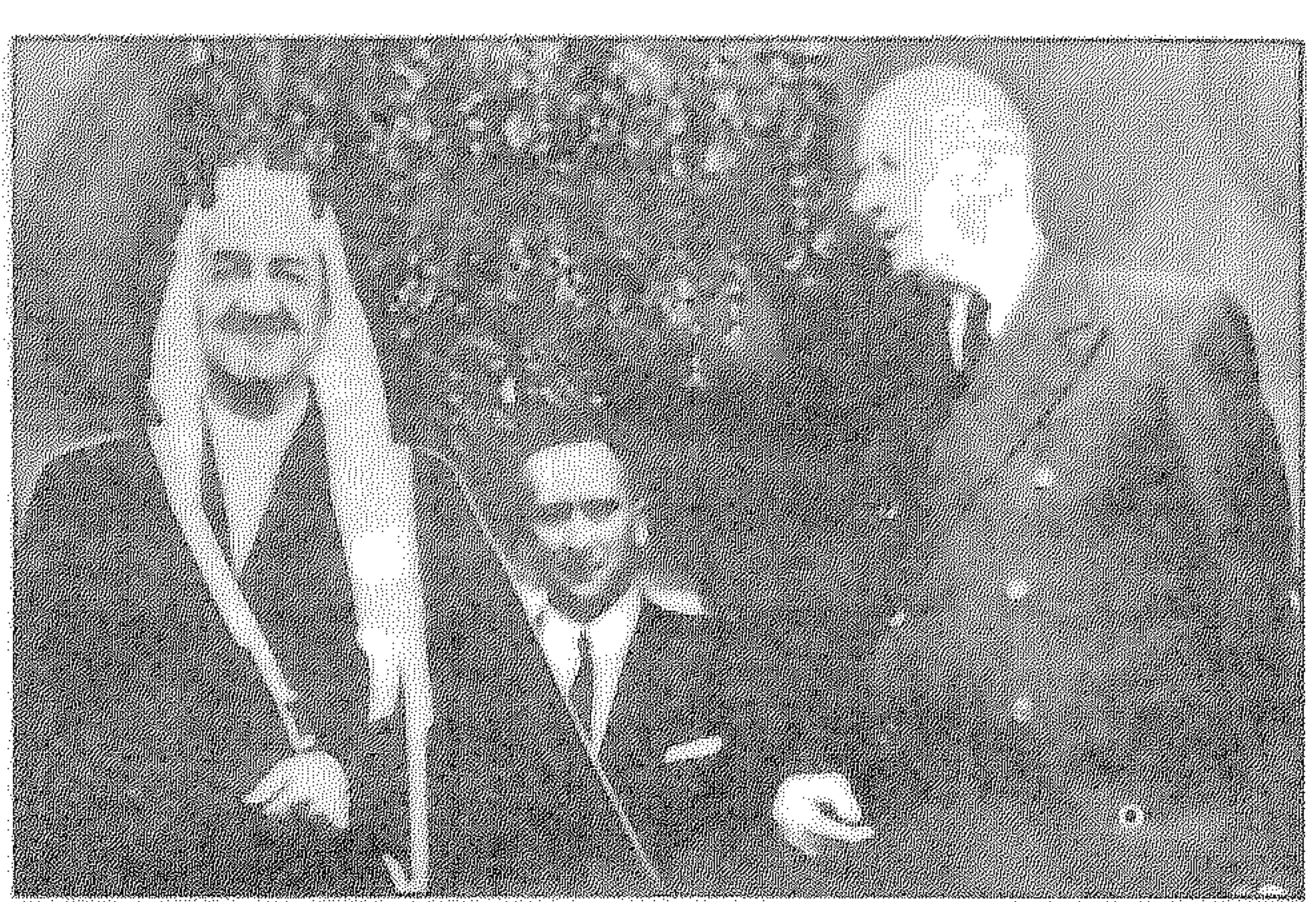
8



«الفيصل» في صورة تذكارية مع بعض من الأقلية المسلمة أمام مسجد تايبيه.

١٣٩١هـ/ ١٩٧١م

6

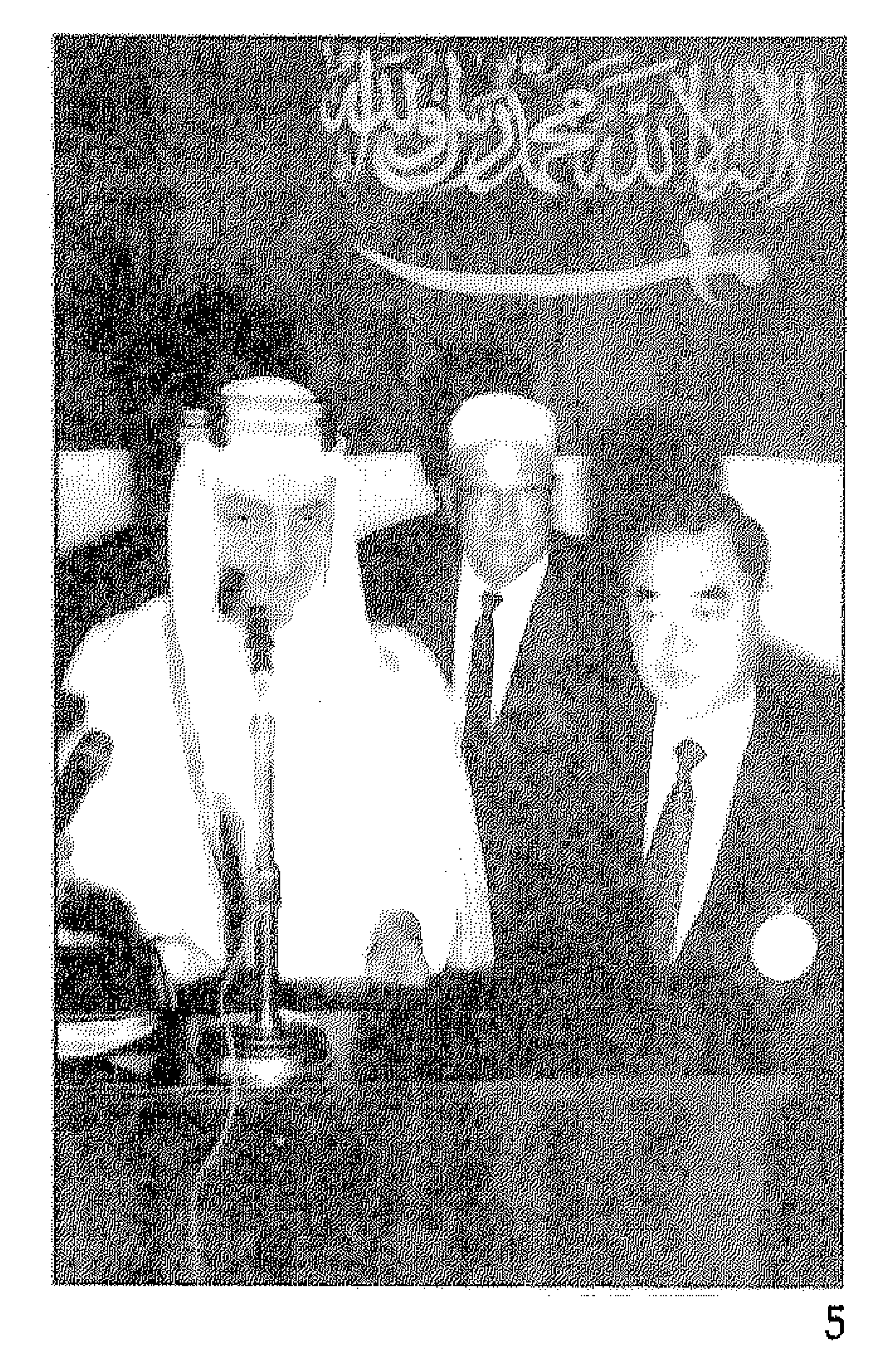


54

«الفيصل» مع الرئيس الفرنسي شارل ديجول أثناء زيارته لفرنسا.

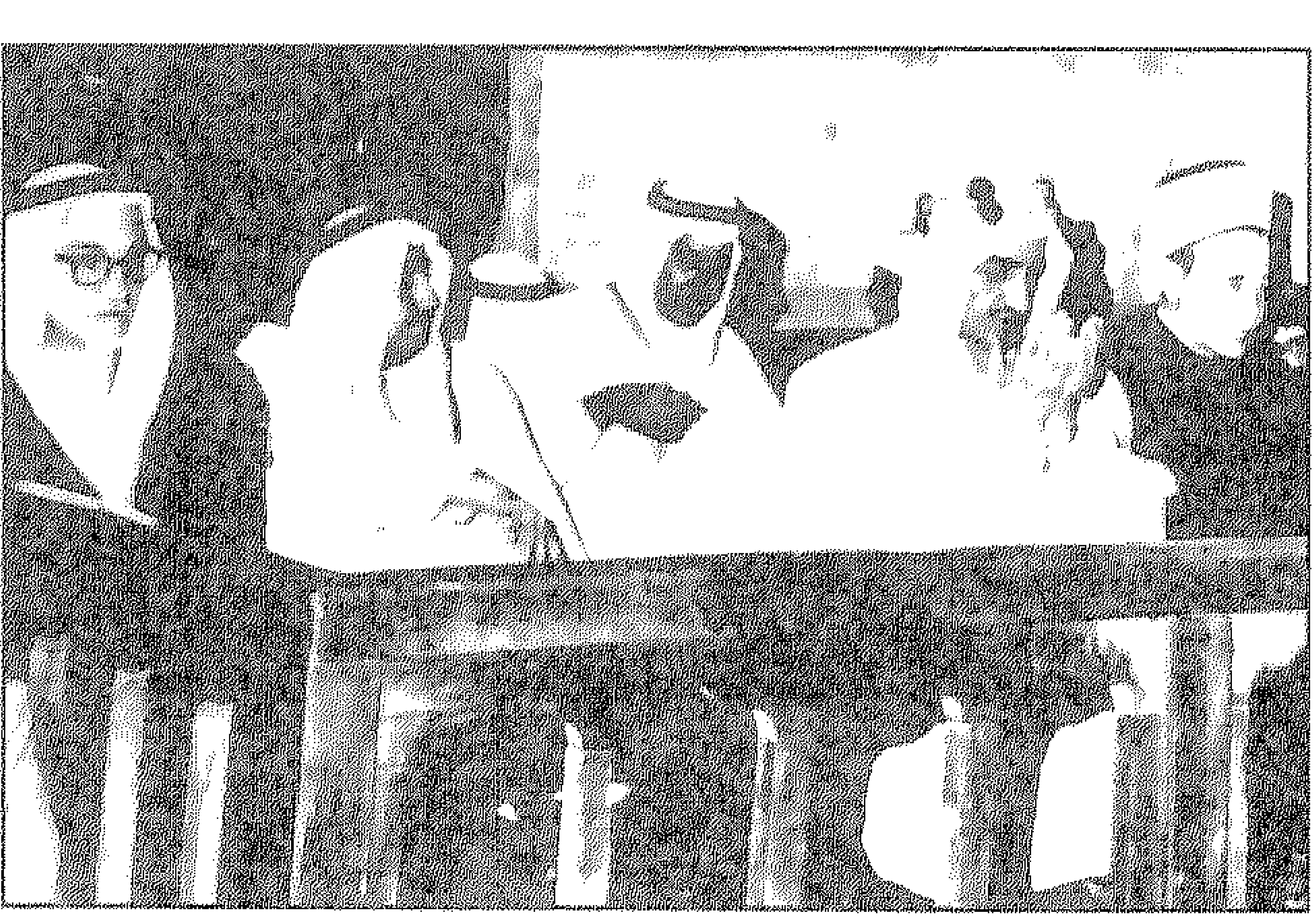
١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م

لقاء مهم أقنع الزعيم الفرنسي بعدالة القضية الفلسطينية وكان اللقاء نقطة تحول في سياسة فرنسا تجاه الصراع العربي الإسرائيلي.



5

«الفيصل» يلقي كلمته إلى المسلمين الصينيين في مسجد تايبيه خلال زيارته للصين دعمًا للأقليات المسلمة بها.



45

«الفيصل» يصلي في المسجد الأقصى عند زيارته للقدس عام ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م.

«سجد لله فيه.. وقضى عمره وحياته عاملاً وداعيًا إلى تحريره».

«الفيصل» يترأس وفد المملكة العربية السعودية إلى مؤتمر القمة الإسلامي الأول في الرباط إثر حريق المسجد الأقصى.

١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م

ـ من أقوال الفيصل:

[إخواني إن القدس تناديكم وتستغيث بكم.. فماذا ننتظر؟ وإلى متى ننتظر ومقدساتنا وحرماتنا تنتهك بأبشع صورة..].



69

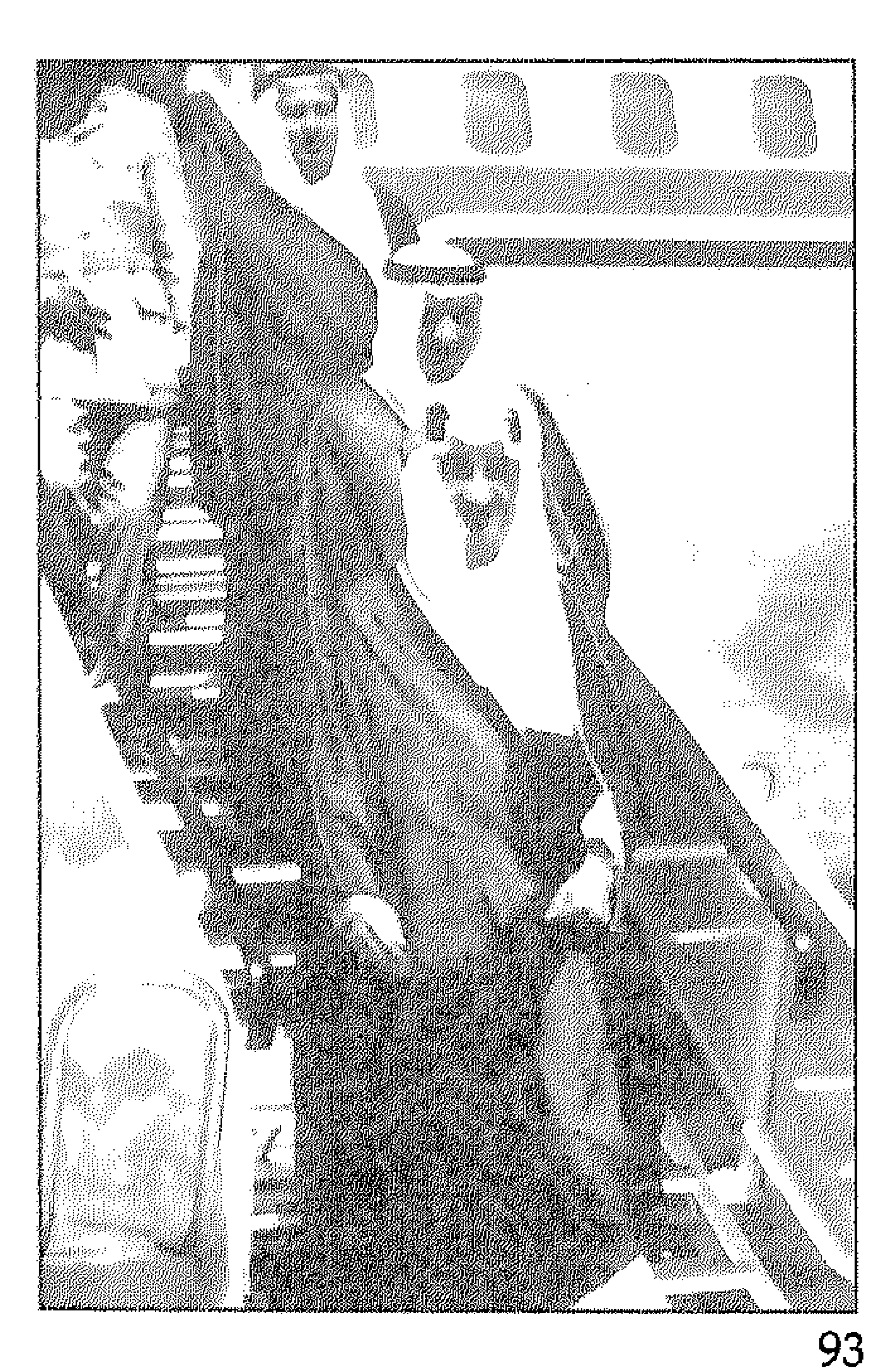


29

«الفيصل» في الحفل السنوي مع كبار الحجيج «دعوة إلى التضامن الإسلامي»

ـ من أقوال الفيصل :

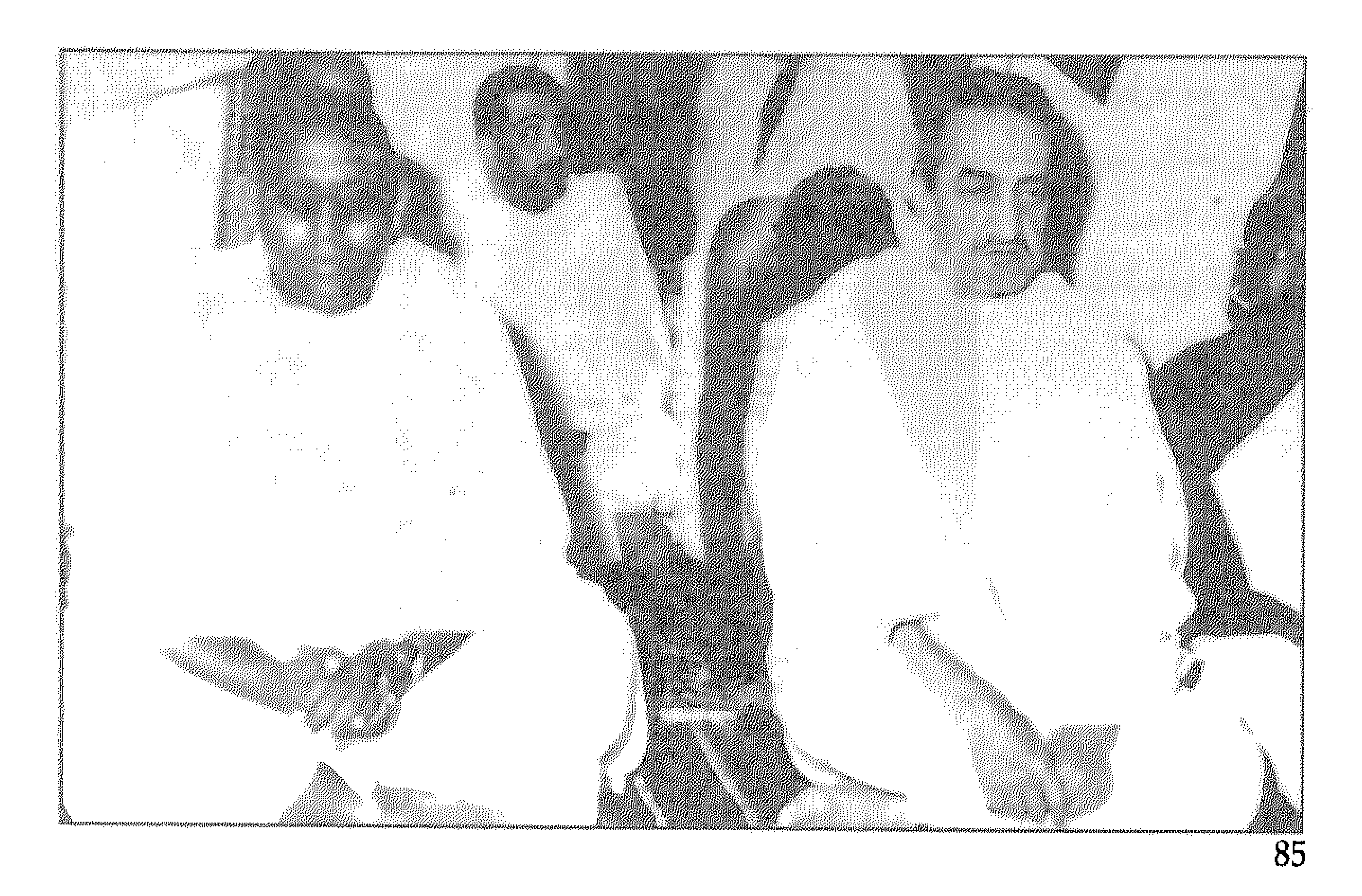
[إخواني إن القدس الشريف يستغيث بكم.. فماذا تنتظرون... وهل هناك موت أفضل وأكرم من أن يموت الإنسان مجاهداً في سبيل الله... وأرجو الله سبحانه وتعالى أنه إذا كتب لي الموت أن يكتب لي الموت في سبيل الله].



93

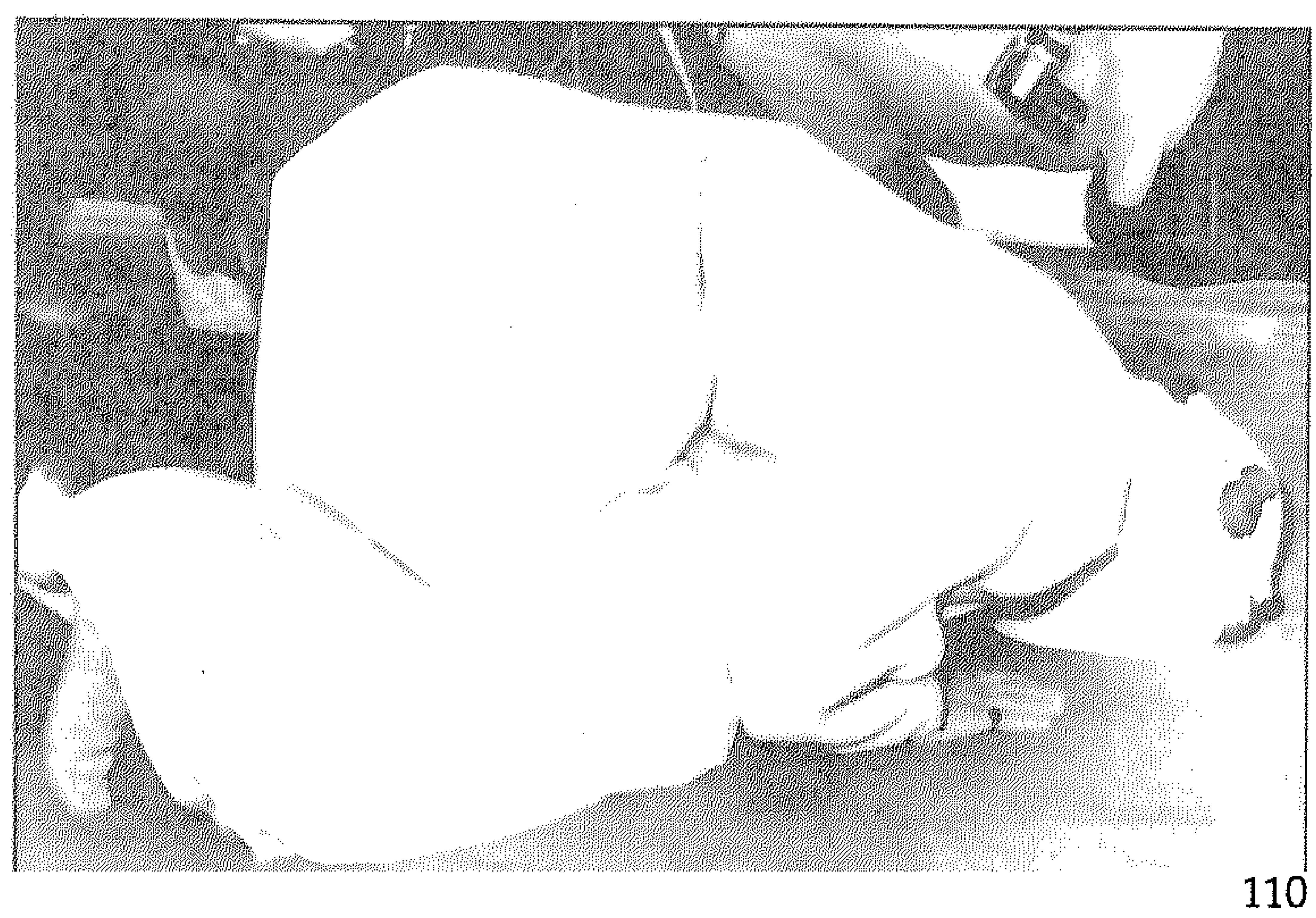
«الفيصل» عند زيارته الرسمية لباكستان.

١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م



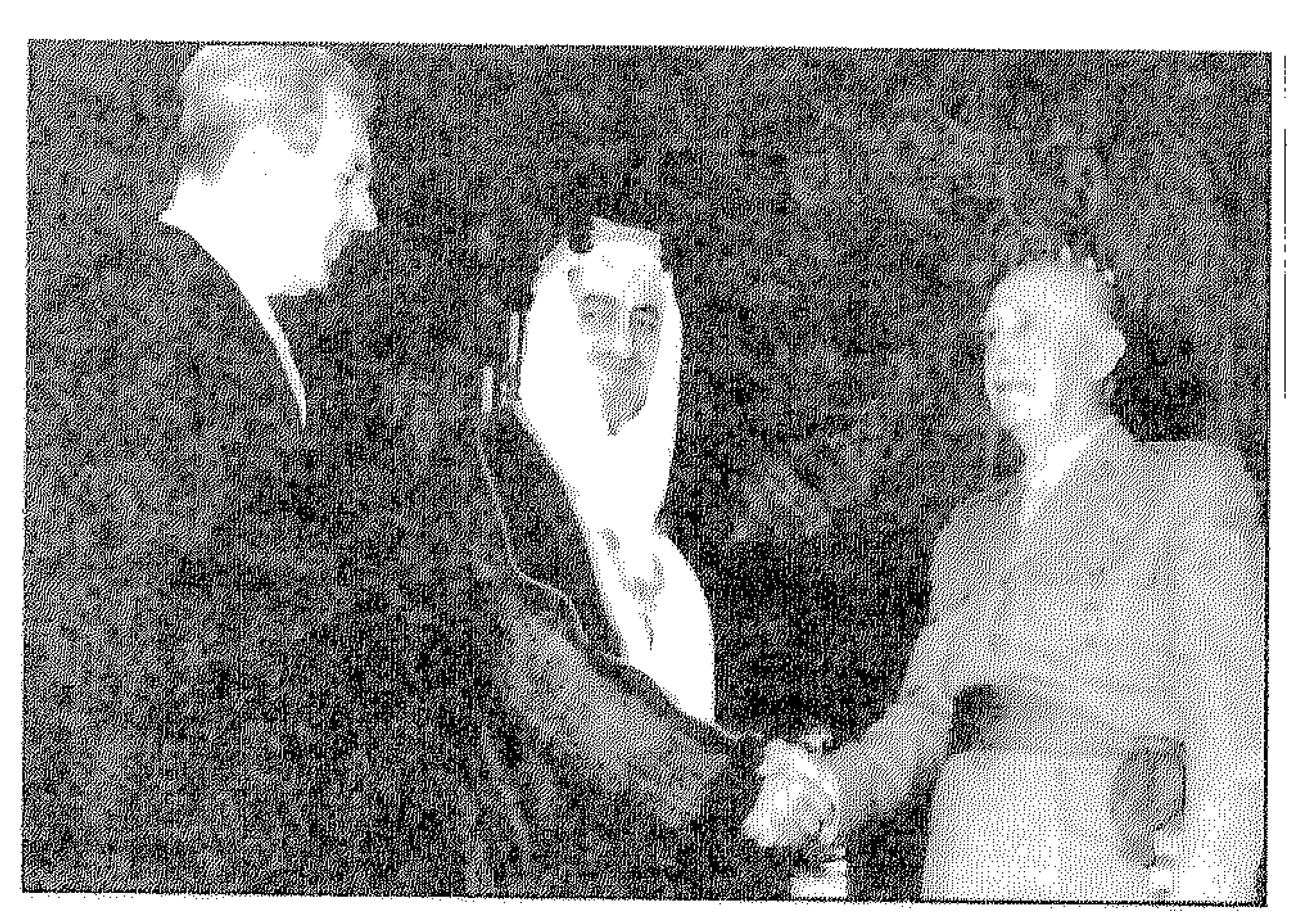
85

«الفيصل»
حــاجــًا



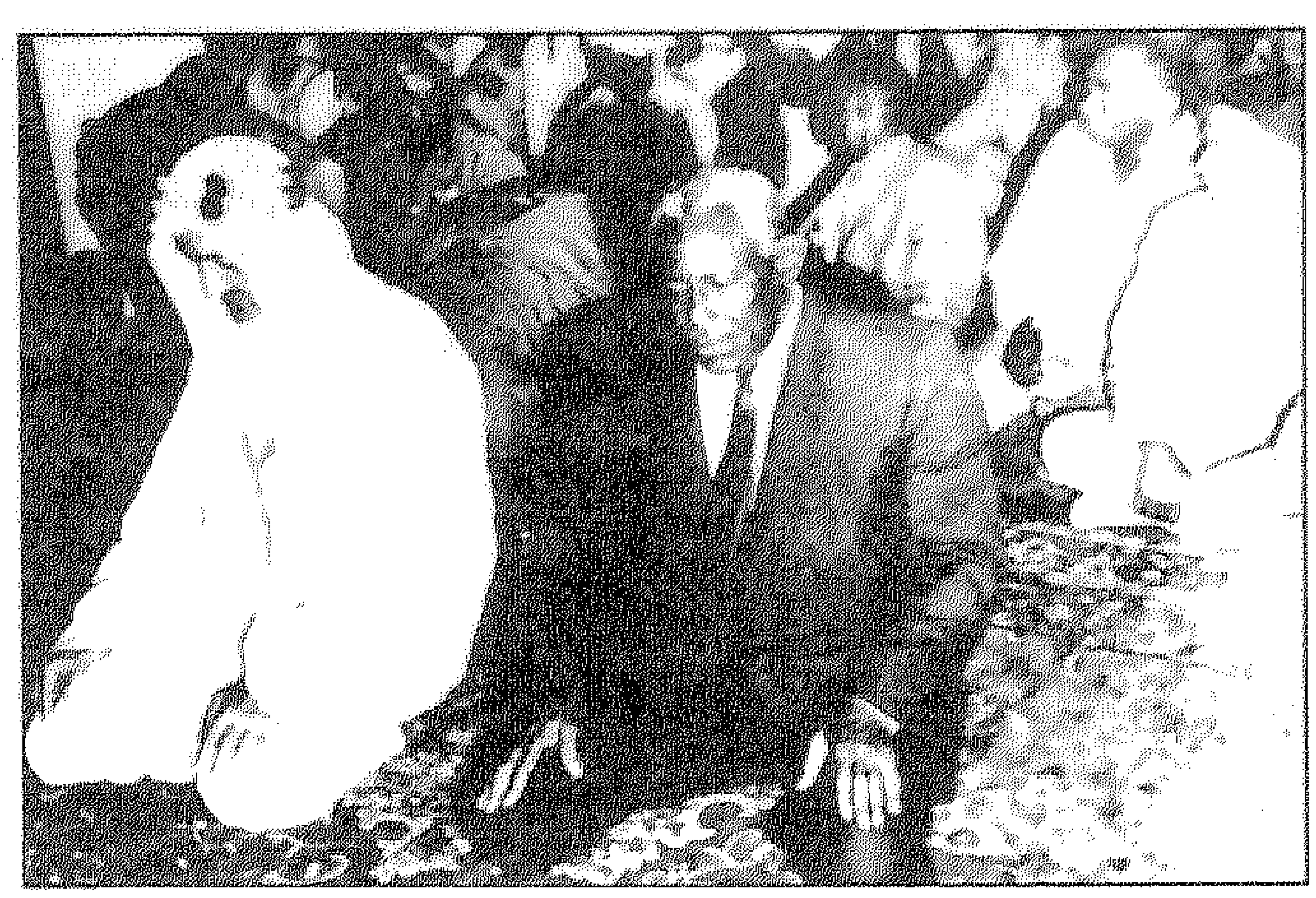
110

«الفيصل» مصليًا في المسجد الأقصى المبارك قبل استيلاء إسرائيل على القدس.



24

«الفيصل» مع الرئيس الإسباني الجنرال فرانكو.



«الفيصل» مع الرئيس السوداني إسماعيل الأزهري.

83



«الفيصل» مع الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون عند زيارته لأمريكا.

١٣٩١هـ/ ١٩٧١م

- من أقوال الفيصل:

[إن هذا العدوان الذي يتمثل في احتلال أراضينا ومقدساتنا لهو السبب في أن يكون هناك بعض التوتر في العلاقات بين هذه البلاد وبين البلاد العربية والإسلامية].

55



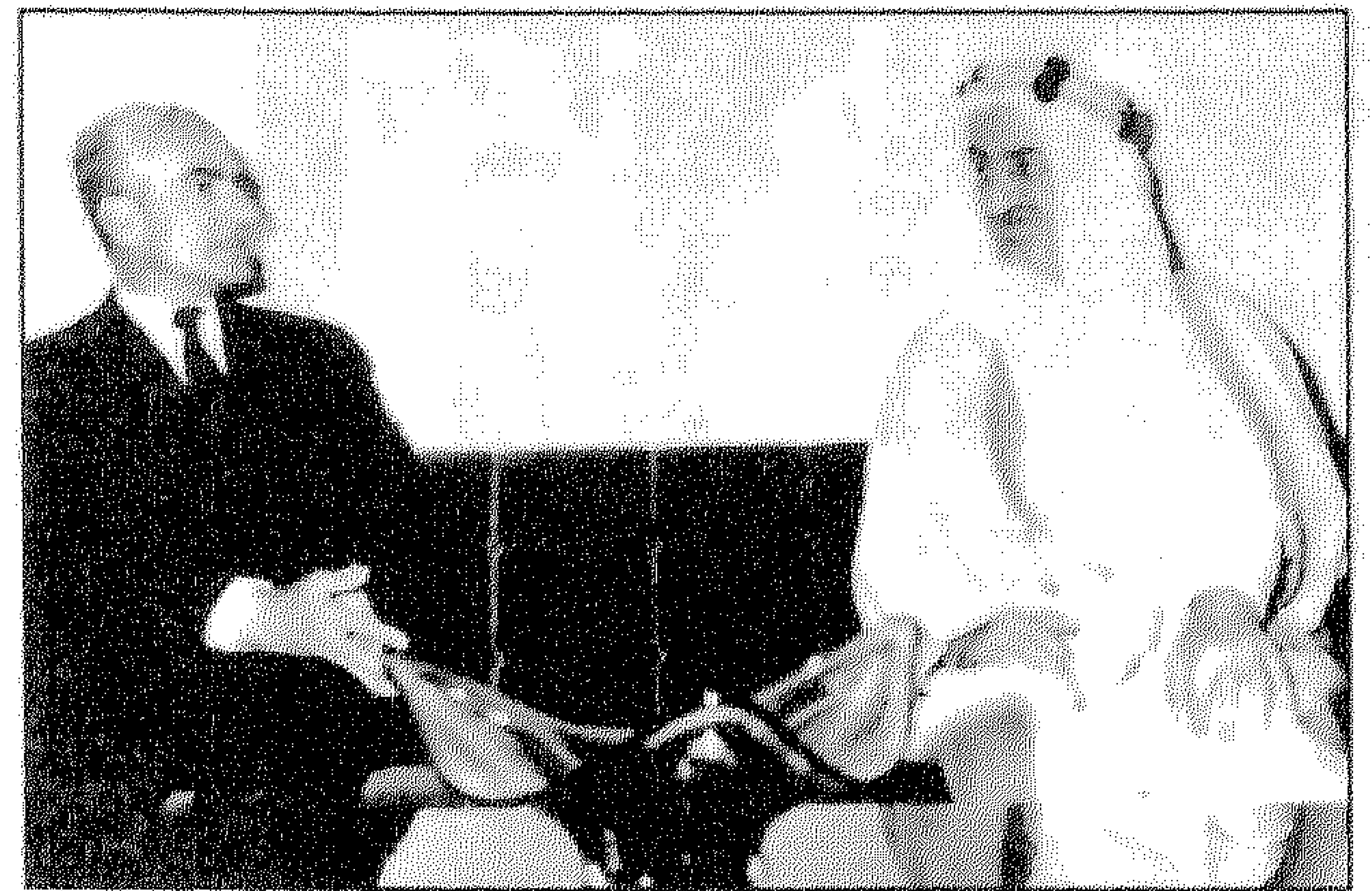
«الفيصل» مع تشانج كاي شيك في أول زيارة يقوم بها رئيس عربي للصين الوطنية.

١٣٩١هـ/ ١٩٧١م

- من أقوال الفيصل:

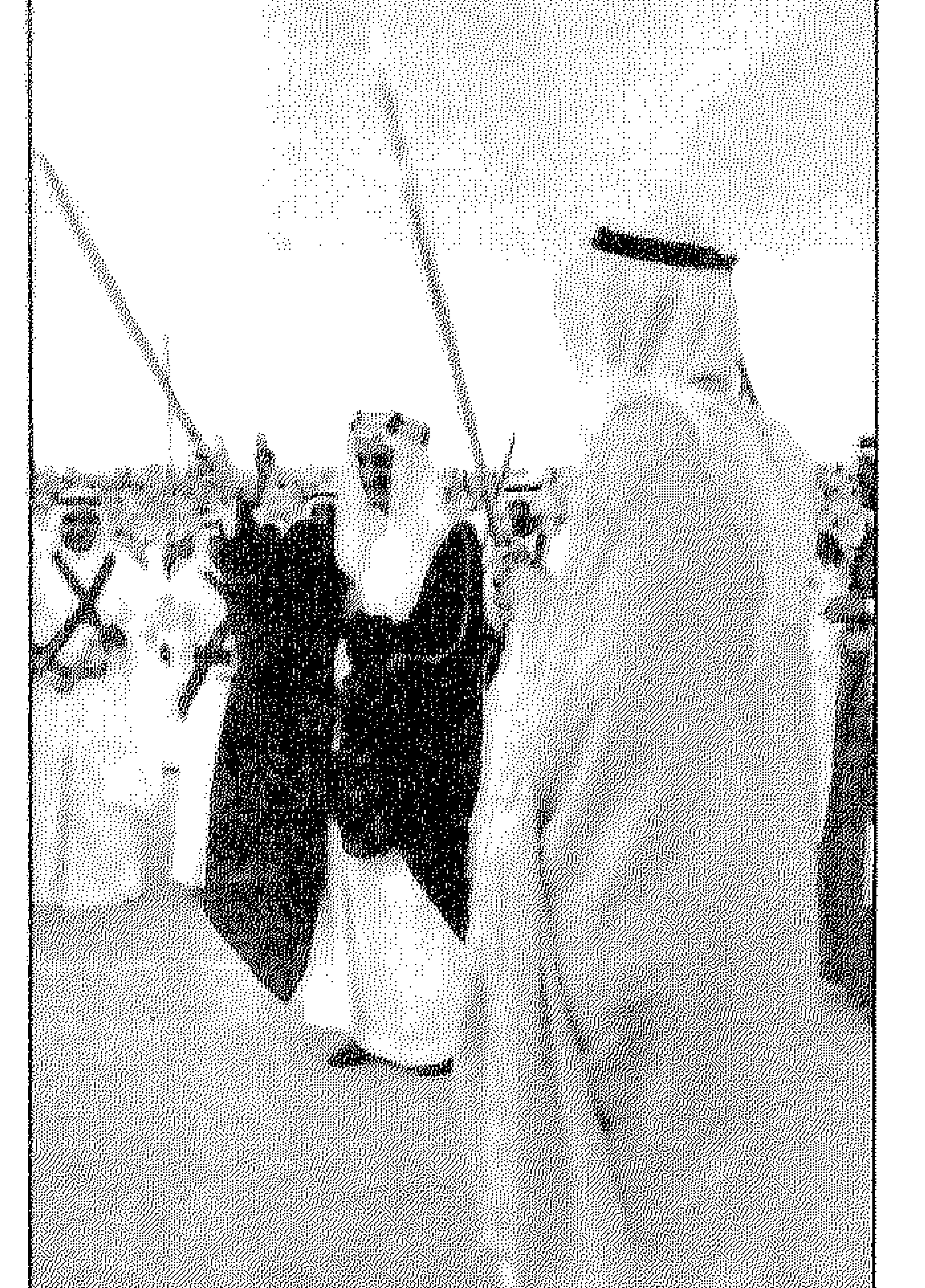
[إنني أدعو إخواني المسلمين في هذا البلد الصديق أن يتعاونوا مع حكومتهم إلى ما فيه الخير للجميع].

4



86

«الفيصل» مع شاه إيران خلال زيارته لها.
١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م
مناصرة للقضية الفلسطينية ودعمًا للتضامن الإسلامي.



100

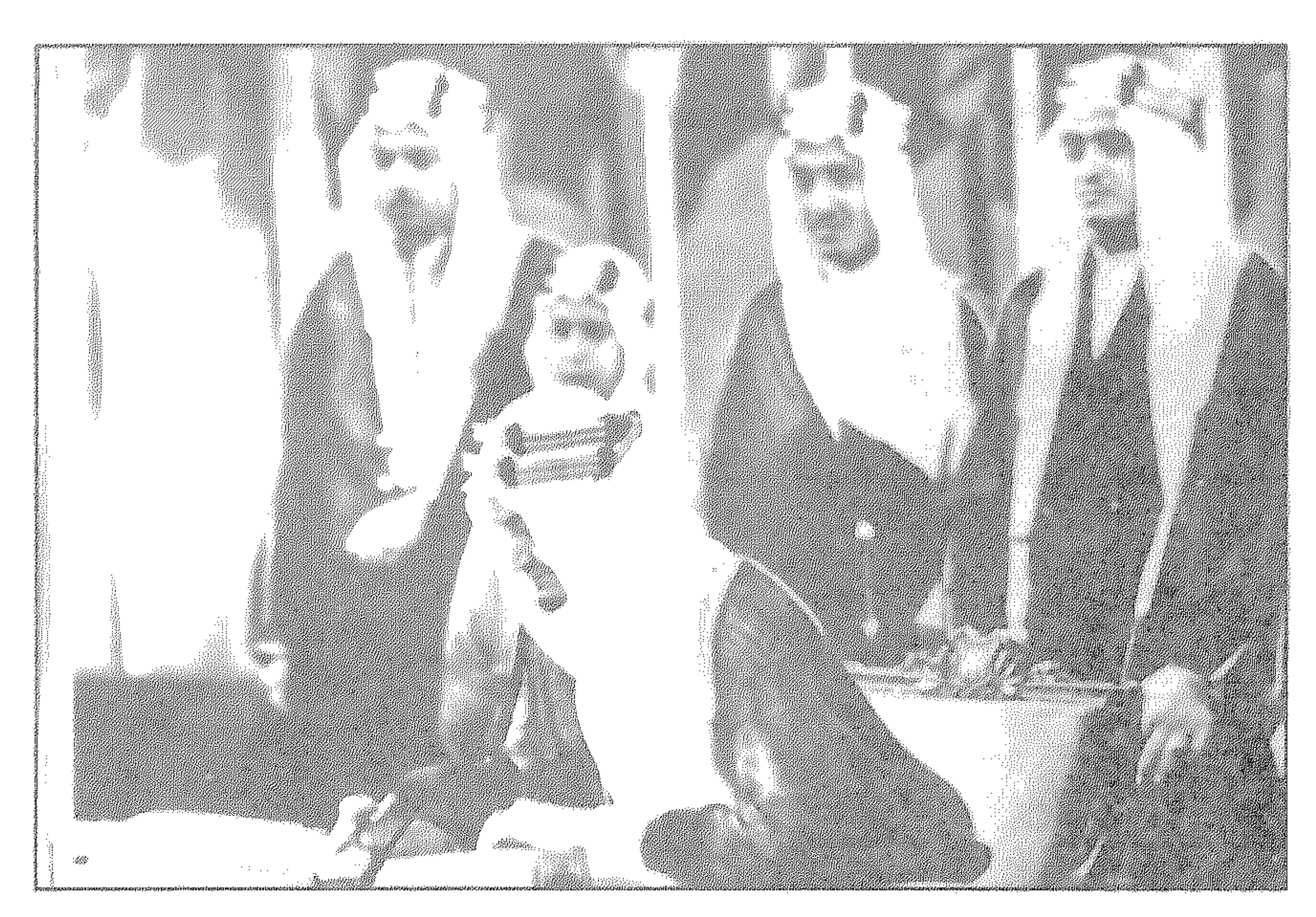
«الفيصل» يشارك جماهير شعبه رقصة العرضة.



33

«الفيصل» مع الرئيس الأوغندي عيدي أمين، خلال زيارته لأوغندا.
١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م

ـ من أقوال الفيصل:
[إن ديننا الإسلامي يفرض علينا أن نتحد فيما بيننا ونوحد كلمتنا وجهودنا وأعمالنا لما فيه خدمة ديننا وأمتنا ووطننا..].



43 «الفيصل» يوقع ميثاق الأمم المتحدة في سان فرنسيسكو دعما لدور العالمين العربي والإسلامي في المجال الدولي. ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

ـ من أقوال الفيصل :

[إن حكومة المملكة العربية السعودية تؤمن إيمانًا صادقًا بتلك المبادئ السامية... والتي لابد أن تتغلب على الجور والاستعباد اللذين حاول العدو فرضهما على كافة البشر].



23 «الفيصل» مع الرئيس الإسباني الجنرال فرانكو أثناء زيارته لإسبانيا. ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م

ـ من أقوال الفيصل :

[إذا كان التاريخ القديم قد قرب بين الشعبين فإننا في هذه الحقبة من الزمن لأحق أن نتقارب ونتعاون مادام أن مصالحنا وأهدافنا هي لخير شعوبنا].

«الفيصل» يستقبله الرئيس الإيطالي جيوفاني ليوني خلال زيارته لإيطاليا.
١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م

ـ من أقوال الفيصل :
[نأمل في هذين اليومين التي ينظر فيها مجلس الأمن في قضية الشرق الأوسط من الدول الأعضاء أن يضغطوا على أعدائنا لإعادة الحقوق إلى إصحابها .. إن العرب لايمكنهم تحمل هذا الاضطهاد].



35

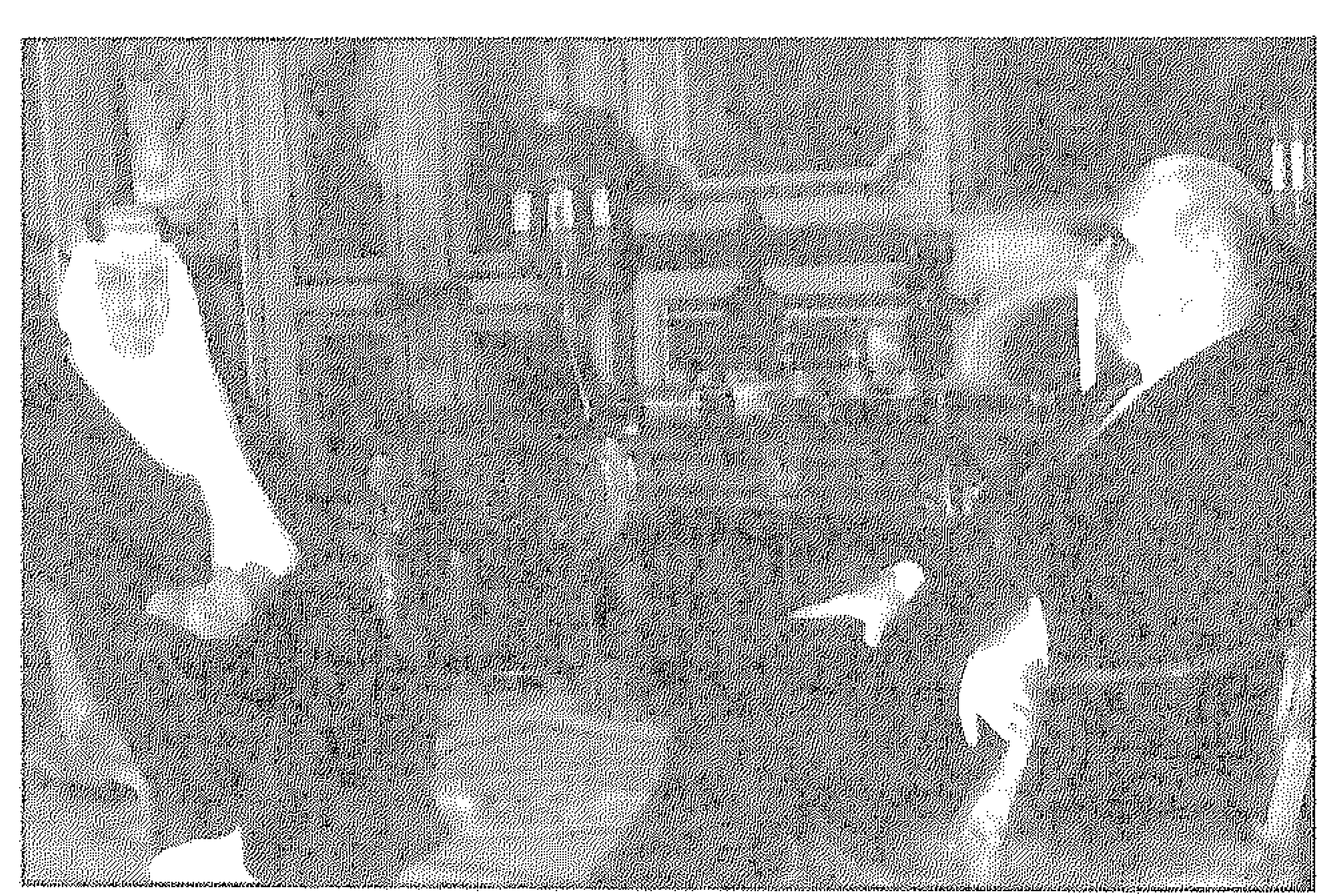
الفيصل» يرد تحية الوفود المشاركة في مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامي الثالث في جدة.
١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م

ـ من أقوال الفيصل :
[أدعو الله أن يجعلني وإياكم متعاونين متكاتفين على ما فيه خدمة ديننا وعز وطننا والرقي بأمتنا على هدي سلفنا الصالح].

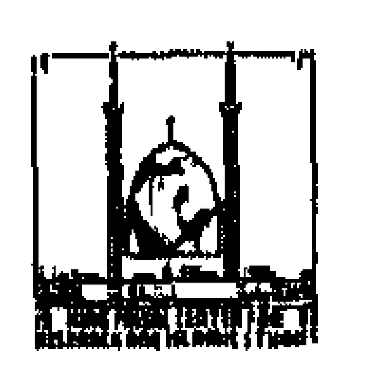
166

«الفيصل» مع الرئيس الفرنسي جورج بومبيدو في قصر الإليزيه .
١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م

ـ من أقوال الفيصل :
[ونحن كمسلمين ديننا يقضي علينا بأن لا نعتدي على أحد، ولكن علينا أن ندافع عن أنفسنا تجاه من يعتدي علينا...].



34



مطبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية



مطبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية